شيرين هنائي

نيكروفيليا

الطبعة 5

رواية

الرواق للنشر والتوزيع

شيرين هنائي
رواية
نيكروفيليا

رواية

نيكروفيليا

شيرين هنائي

■ الطبعة الأولى.......... يوليو 2011

■ الطبعة الثانية.......... ديسمبر 2011

■ الطبعة الثالثة.......... يوليو 2012

■ الطبعة الرابعة.......... نوفمبر 2012

الغلاف: أحمد مراد

المراجعة اللغوية: محمد طاهر

رقم الإيداع: 11828 / 2011

الترقيم الدولي: 6 - 03 - 5153 - 977 - 978



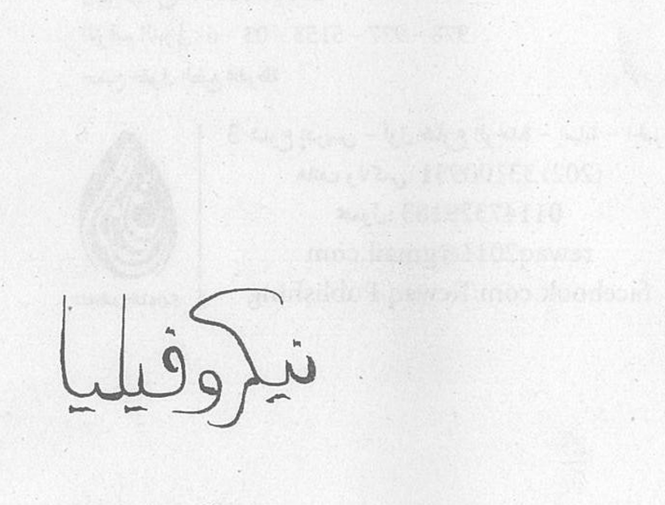
3 شارع إدريس - أول شارع الوحدة - إمبابة - الجيزة

هاتف وفاكس: 33100951 (202)

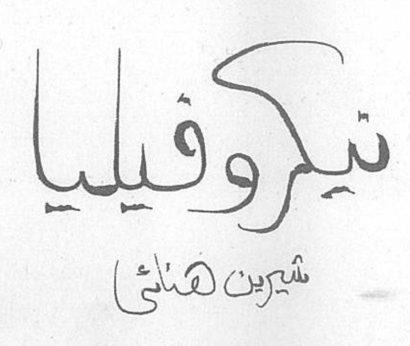
محمول: 01147379183

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/Rewaq.Publishing



نيكروفيليا



رواية

الرواق للنشر والتوزيع

إهداء

أجدُ من الغريب أن تهدي فتاةٌ رجلَها في أول عيد ميلاد له معها رواية نفسية كئيبة من تأليفها، و لم يمر على تعارفهما إلا أشهر قليلة!

لكن الأغرب أن يحب هذا الرجل تلك الفتاة، بل ويتزوجها رغم شغفها الشديد بأن تكون كاتبة قصص رعب!

ولهذا الرجل المميز، أهدي تلك الرواية التي قرأها في يوم ميلاده فلم يفر هاربًا...

إلى زوجي...

إهداء

[illegible]

شكرًا...

لقطبيِّ الرعب – من وجهه نظري – العبقري ستيفن كينج، وأستاذي د. أحمد خالد توفيق...

أعلم أن أحدهما – أو كليهما – لن يقرأ هذا الشكر، لكن يكفيني شرفًا أن يزين اسماهما هذا الكتاب...

مقدمة

لم أدرك التشابه بين رواية "نيكروفيليا" التي كتبتها في عام 2005، ورواية "عجين القمر" التي كتبتها في 2011، إلا وأنا أكتب هذه السطور!

لقد شاء الله أن تُنشر الروايتين في نفس العام، ولا أدري حقًا أميزة هي أم عيب... ولا أعلم ما السر في أن تطل تلك الشخصية المظلمة من طرقات عقلي الباطن الملتوية كل ست سنوات. لكن دعني أخبرك أمرًا قد يساعدنا –أنا وأنت– في معرفة ماهية الشخصيتين –منسية في نيكروفيليا ورجاء في عجين القمر– وما أردت قوله فعلًا من خلالهما.

لقد نشأت وقد وجدت نفسي –بلا مبرر– محبة لكل كائنات الله، وخصيصًا ما يكرهه منها البشر بلا مبرر...

عشقت العناكب والسلاحف والحرباء وما إلى ذلك من كائنات لم تجد متسعًا لها في قلوب الناس، إلى جانب الكلاب والقطط والببغاوات الملونة... ومع الوقت، كنت أراقب كيف يفرق البعض بين الأسود والأبيض... بين السمين والنحيف... بين الجميل ومن لم يعطه الله جمال الصورة...

حقًا لم أجد بعد -حتى في نفسي- ذلك الإنسان العادل الذي يعطي اهتمامَه وحبَّه لأي كائن دون الحكم عليه بمظهره...

ما أرقني ثانيًا هو عدم الاهتمام بالصحة النفسية للأطفال، وكأنهم لا يتأثرون بشيء، ولا يفقهون الغث من الطيب، أو كما قالت لي إحدى قريباتي يومًا -إذ لمتُها على إهمالها لنفسية أحد أطفالها: "ياختي وده لحقت تطلعله نفسية إمتى ده؟!" هذا ما قالته لي، وهذا ما يقوله أغلب الناس بهذا الشأن...

إن ما نزرعه في نفوس أطفالنا -بلا قصد- من تفرقة ولا مبالاة لن نجنيه للأسف، بل سنجني أضعافه، وسيجني منا البريء أيضًا ثمار زرع المذنب...

كلتا القصتين تتحدث عن قنابل موقوتة... وإذا تحدثنا عن الرواية بين يديك الآن، ستدرك أنني لا أرى في البشر

الأسود والأبيض فقط، إنما هي مساحة رمادية يتراوح فيها البشر بين الرمادي الغامق والفاتح... لا جناة هنا ولا أبرياء... فقط البعض يبدأ بريئًا إلى أن ندفعه دفعًا إلى هاوية الإجرام... وبعضنا مذنب... طهَّرته نواتج أفعاله حتى انتهى به الطريق أقرب إلى القديسين...

دائرة أبدية نسلخ فيها الأبرياء ليصيروا بدورهم جلادينا الذين يطهروننا من خبث أنفسنا...

يمكنك أن تحب منسية أو تكرهها... يمكنك أن تلوم جاسر أو تجد له أعذارًا.. لكن بعد أن تغلق الرواية عدني أن تفكر مرة أخرى في أحكامك على من حولك... وإن لم تغير فيك تلك الرواية شيئًا، فلمني أنا، إذ ربما يحتاج التغيير أكثر من مجرد رواية... ربما يحتاج إلى التجربة التي أسأل الله ألا يضعنا فيها، فلا يوجد أقسى من أن تعلمنا الحياة درسًا.

شيرين هنائي

يونيو 2011

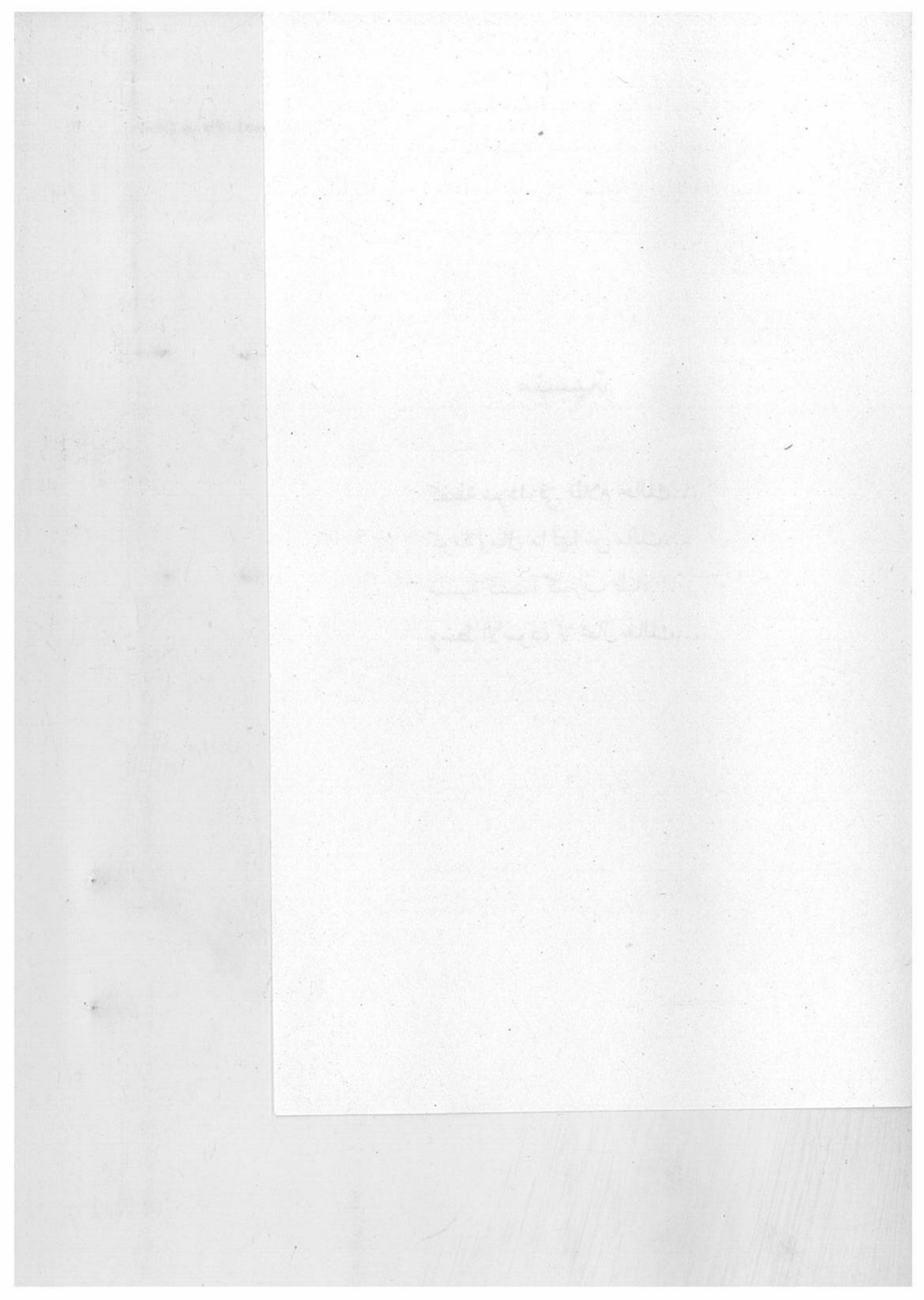
منسية

كقطة سوداء في ظلام حالك...

كومة رمال ما لها من مالِك...

منسية كنت، كسرب ظباء...

وسط الأسود، لا محال هالك...



(١)

ساقٌ نحيلةٌ، برزت أوتارها، وتكاد تعد شرايينها الزرقاء المنتفخة...

ركبةٌ ضخمةٌ تنم عن نحول شديد غير مسبوق...

فخذٌ ضامرةٌ، عظام حوض بارزة...

ملابس رخيصة تغطي ذلك الهيكل شاحب البشرة...

يد معروقة مهتزة يغطيها كم أبيض طويل مزدان بالدانتيللا الرخيصة...

حنجرة بارزة تكاد ترى فيها تفاحة آدم كأوضح ما يكون...

فقرات سبع من الخلف تحمل جمجمة مكسوة بالجلد الباهت والشرايين.

عينان خضراوان غائرتان تعلوان أنفًا دقيقًا، يطل على شفتين جافتين متقرِّحتين...

شعر طويل خفيف شبيه بذاك الذي يحيط بكوز الذرة الطازج، أسود اللون، غير لامع، تتخلله خصلات بيضاء في سن لم يتجاوز العشرين...

شابة صغيرة كانت، تلملم طرف شالها الأبيض لتتدثر به... تقوم مترنحة من سريرها البسيط مسقطة بعض الأدوية المتراصة على المنضدة المجاورة بطرف شالها، وتتجه إلى النافذة المكسوَّة ببخار الماء في تلك الليلة الباردة.

ضوء القمر يسقط على مقلتيها، يعكس الأشجار الجافة في فناء الدار... ويعكس ضوء القمر الفضي على الموجودات.

دمعة حارة تنحدر من عينها الحمراء، إلى خديها، إلى رقبتها، ثم تسقط على ثوبها محدثة بقعة شفافة سرعان ما تتسع وتتسع...

تنقلنا إلى تلك الدمعة التي سقطت يومًا منذ عشر أعوام على قميص نومها الأزرق...

إنها ذات الملامح الشفافة وذات النحول العجيب...

– منسية!

صوت صارخ من الصالة الضيقة ينادي عليها، إذ وقفت أمام سور الشرفة المتداعي تلاعب ذلك الفأر الضخم... تفزع الطفلة الصغيرة منسية ويهرب الفأر...

تطأ بقدميها الصغيرتين العظميتين البلاط البارد عابرة حاجز الشرفة وتقف على بعد متر أو يزيد من والدها البدين ذي الشارب الضخم...

- بنت يا منسية... هل تقفين أمام "بعبع"؟! لماذا لا تقتربين حتى لا أضطر إلى الصراخ وإيقاظ الجيران؟!

تتسع عينا منسية في ذعر... وتقترب...

- ما لك؟ لماذا هذا الذعر يا مصيبة حياتي؟ من البديهي أن أصاب أنا بالذعر لدى مرأى وجهك الكالح... اقتربي!

يجذبها من كم ثوبها متحاشيًا لمسها... يقربها من أنفه ويتشممها في اشمئزاز...

- ما هذا يا بنت؟! ألا تستحمين أبدًا؟! إن لك مظهر الجثث ورائحتها والعياذ بالله... أنت لا تطيقين المياه كأنها زوجة أبيك... اذهبي للاستحمام وإلا سآتي أنا لأصب عليك المياه... لعلك تغرقين وتريحيني...

تجري منسية إلى الحمام الضيق المتآكل وتغلق الباب،

وتظل ترمق أباها الجالس في مواجهة الباب حتى تتأكد من أنه لن يأتي معها للحمام... تبعد عينيها الواسعتين الغائرتين عن ثقب القفل، وتلتفت إلى المرآة المشروخة طوليًا، والموضوعة في مكان شبه منخفض فوق الحوض المغلف بطبقة كلس...

هل تستحم؟! إنها تكره أن تخلع ملابسها، فكيف تستحم بينما تلك المرآة تحملق فيها هكذا؟!

إن لم تستحم فستكون الكارثة، إذ سيأتي أبوها لإجبارها على الاستحمام، وسينزع عنها ملابسها... لا... لا... لا بد أن تستحم وحدها.

تخلع القميص الأزرق وتتحاشى النظر بجانب عينها إلى المرآة حتى لا ترى جسدها... تتسلل إلى حوض الاستحمام مغمضة العينين وهي ترتعش بعنف... عيناها تدمعان... يدها الباردة تتحسس القيشاني الزيتوني حتى تصل إلى الصنبور... تفتح الماء الساخن فيهدر سخان الغاز... فترتجف...

تمد يدها اليسرى ذات الخاتم المعدني الصدئ -الذي كان لأمها- محاولة موازنة الماء البارد والساخن... أين الصنبور؟ تفتح عينًا واحدة لتبصر الصنبور... بعين مضطربة تنظر إلى المرآة... ترى فقرات ظهرها البارزة، لا توجد دهون من

أي نوع تحت جلدها المجعد الخفيف... تلتفت ببطء وترفع رأسها...

هدير المياه المصحوب ببخار الماء يجعل الرؤية متعذرة حقًا... وبخار الماء يغلف المرآة...

تضيق عيناها محاولة التحقق من انعكاسها... تعبر حاجز حوض الاستحمام المنخفض... تقترب أكثر من المرآة... تمسح البخار بكفها المهتزة... يبرز من بين خيوط البخار المتكاثفة المنزلقة وجهها الناحل... تنزلق كفها أكثر إلى أسفل.

ترى عنقها...

إلى أسفل...

لا يوجد أي أثر لبوادر الأنوثة التي تراها على صديقاتها في المدرسة...

تتنفس بصعوبة وبسرعة... تتلألأ عيناها وهي تخفي جسدها بسرعة عن ناظريها...

ترتجف أكثر وأكثر...

تدير جسدها إلى الناحية الأخرى... وتتهاوى كدمية ماريونيت انقطعت خيوطها...

(٢)

نظر لها دكتور مرعي طبيب المستشفى الحكومي في هلع... حدق بعينين متسعتين عن آخرهما في أوتار قدميها البارزة صاعدًا إلى أعلى حيث وجهها العظمي... كان أبو منسية يحملها على ذراعيه كأنما يحمل جريدة مفتوحة، وقد دخل جازعًا إلى الطبيب المتعالي مما عساه قد حدث لها...

حين وضع منسية على سرير الكشف بدا للطبيب أنها ميتة... بل ميتة منذ بضعة أيام...

– ماذا حدث لها؟!

– أبدًا... كانت تستحم، ووجدتها ساقطة على الأرض هكذا... هل ماتت؟!

قالها الأب في جزع ممزوج بتمني موتها حقا لتريح وترتاح...

مد الطبيب يده في برود فاحصًا إياها ثم أردف في سرعة:

– أنيميا شديدة.

ترك الطبيب منسية على المنضدة وخط بعض الأدوية على روشتة وملأ محقنًا ما وأدخله في وريدها البارز...

دقائق وفتحت منسية عينيها... كان الطبيب يتحدث إلى أبيها ويرمقها بجانب عينه من حين إلى آخر...

كان تشخيصه غير دقيق، ولكنه كان يسير بمنطق (على قد فلوسهم)... ربما لو جاءته العيادة لأهتم بها أكثر...

– خذها واعتنِ بها... طعام جيد ودواء في مواعيده، وائتني في ميعاد الاستشارة...

ثم ضغط زرًّا بجانبه ليدخل مريض آخر...

حمل الأب ابنته وقد شعر بأنه طُرد بشكل ما... إن هذه الشيطانة التي رُزِق بها لن تكف عن المرض والإغماء حتى تأتي على آخر مليم في جيبه.

أخذ يتمتم بهذه المعنى ويحملها ورأسها تتأرجح وراء ظهره متظاهرة بالنوم... من وراء عينيها نصف المغمضة أخذت ترمق الأطفال والنسوة الجالسين في انتظار

أدوارهم للكشف... تتأمل وجوه الأطفال المكتنزة وأذرع النسـوة التي تضغط على قماش ملابسهن بشدة حتى تكاد تمزقها...

لا تشعر بالحقد عليهن، دعهن يتمتعن بما لديهن، لكن بالنسبة لها فهي لن تأكل أبدًا... لن تأكل لأن الطعام شيء كريه حقًا، حتى لو كان هو طريقها الأوحد لتكون سليمة طبيعية.

بدورهم، كف الأطفال عن الصخب وضرب بعضهم البعض، وأخذوا يرمقونها في توجُّس... بل إن أحدهم قد تحمس وألقى بعلبة العصير نحوها، ثم دفن رأسه في صدر أمه.

ملايين الأصابع تشير إليها... امتلأ مجال رؤيتها بالأعين المتسعة الفضولية، وأصابع ساخرة تشير إلى الجثة التي تكونها...

أغمضت منسية عينيها بشدة، ولكن مع ذلك ظلت تلك الأعين والأصابع المحملقة تدفعها دفعًا إلى حافة الجنون.

(٣)

من جديد مرآة الحمام المزعجة...

تحاول منسية إدارتها إلى الاتجاه المعاكس حول محورها، حتى لا تعكس وجهها مرة أخرى، لكن منسية ضعيفة بحق... غير قادرة على حمل كتاب كبير... فما بالك بمرآة؟

تحاول وتحاول... لا تتزحزح المرآة...

آلمها كفاها بشدة... احتضنت كفيها ولمست أصبعها ذا الخاتم المعدني... خلعته وأخذت تنظر إليه... ابتسمت.

تذكرت أمها التي توفاها الله منذ بضعة سنوات... كانت منسية صغيرة... لكنها تذكر جيدًا ذلك اليوم...

كانت طفلة ممتلئة القوام ذات شعر أسود منسدل...

تنظر إلى داخل غرفة أمها حين احتشدت النسوة ومنعنها من الدخول...

كلمات عن رحيل أمها...

بكاء وعويل...

المنزل الصغير مكتظ بالنسوة والرجال... من بين سيقان النسوة في حجرة الأم، دست منسية جسدها الصغير ودخلت وكلها فضول لمعرفة أين أمها وما تفعله النساء هنا.

على المنضدة الموضوعة هناك كانت أمها نائمة... جميلة... يستر جسدها العاري ملاءة سرير خضراء... شعرها مبتل... تقلبها النسوة ويصببن فوقها الماء برفق.

لماذا؟!

على منضدة جانبية سلسلة ذهبية كانت لا تفارق عنق الأم، وخاتم معدني وزوج من الأساور الرفيعة...

لقد ماتت الأم... لكن منسية لا تعرف ما الموت...

فقط في الأيام التالية عرفت أن أمها لن تكون هنا مرة أخرى...

أخذ الأب ذهب الأم وخبأه في الدولاب، وحين كبرت منسية في سن دخول المدارس طلبت من أبيها أن ترتدي سلسلة أمها، فأبى وأعطاها ذلك الخاتم الرخيص... كانت منسية تحشر وريقة بينه وبين أصبعها كي لا يسقط.

أصاب الخاتم الصدأ لكنها لم تخلعه... ولن تفعل.

– الشاي يا منسية!

انتفضت منسية وتركت مرآة الحمام وهرعت إلى المطبخ... كانت قادرة بالكاد على رفع براد الشاي فارغًا، فكيف إذا امتلأ؟!

أمسكت البراد ربع الممتلئ بكلتا يديها ووضعته على الموقد ووقفت تنتظر...

كان المطبخ مظلمًا، تتدلى خيوط العناكب السميكة من سقفه... مطبخ لم يتم تنظيفه منذ أعوام... من بين قدميها ينسل الفأر الكبير، صديقها الوحيد... لو علم أبوها بموضوع الفأر لأشبعها ضربًا... تحدق في الأرضية المكسوة بالبلاط النَّخِر... تجول بعينيها في رف الأطباق المعلَّق الممتلئ بالأطباق البلاستيكية والمعدنية القديمة...

تنزلق عيناها إلى الطبق برتقالي اللون، تكسوه طبقة غبار تشي بعدم استعماله منذ زمن... وفي ذهنها يتعالى صوت طنط "خليلة" وهي تجذبها من شعرها... وكان ذلك منذ عدة أعوام...

– أنت يا ابنة الـ(........) تعالي هنا.

تجري منسية ذات الجسد الممتلئ الصغير والشعر الفاحم لتختبئ خلف الأريكة ذات الورود الحمراء...

كانت خليلة من النسوة اللواتي يرتدين ثيابًا تشبه ثياب (العوالم) وتصر على أن ذلك يجعلها فاتنة في عيني زوجها- الذي هو أبو منسية... وكانت تلطخ وجهها بالأصباغ من كل لون، وترتدي الأساور الذهبية حتى كوعيها، والتي ورثتها عن زوجها السابق... وفي آخر اليد اليسرى تنحشر إسورتي أم منسية الرفيعتين.

تمسك خليلة الطبق البلاستيكي البرتقالي وبه بعض السبانخ ذات الصلصة الباهتة، وتصرخ في منسية كي تأكل حتى لا يتهمها (سي سيد) بتجويع ابنته.

إن منسية تكره السبانخ، وكانت أمها لا تطهوها... لكن خليلة تطبخ كل أنواع الأطعمة لزوجها، أما منسية فلا شيء إلا السبانخ! وكأنها تتعمد ذلك!

خليلة الضخمة تقترب أكثر من منسية المختبئة ولحم ذراعيها وساقيها يترجرج...

صوت ارتطام الأساور الذهبية ببعضها...

وبالمعنى الحرفي للكلمة (تبرك) فوق منسية وتدس السبانخ في فمها بالملعقة...

تشرق منسية وتبصق الطعام، وتنعتها خليلة بأقذع الألفاظ... تحاول منسية ابتلاع الطعام حتى تصمت المرأة وتتركها لشأنها...

تجلس منسية على الأرض تشهق وتبكي خلف الأريكة وعلى ملابسها منسكبة بواقي السبانخ الممضوغة، بينما خليلة تسبها وهي تغسل يديها ولا تهتم بتنظيف منسية...

والطبق البرتقالي ملقى على المنضدة.

****

كان الماء يغلي محركًا البراد تلك الحركات المتشنجة كأنما أصابه الصرع... تمسك منسية البراد بفوطة وهي ترتجف، فهذا يمثل لها جهدًا لا يوصف.

ما زال الفأر يمرح في المطبخ... يمرح ويصطدم بساق منسية فيفلت البراد ناثرًا ماءه المغلي على ساقيها...

تصرخ...

يهرول أبوها إلى حيث جلست على الأرض غير قادرة على لمس ساقيها المحمرتين... تبكي دون دموع، ليس لحروقها، إنما خوفًا من رد فعل أبيها تجاه الماء المسكوب، وتلك الحروق التي تحتاج لطبيب.

أين تذهب؟ وماذا تفعل؟!

ستتظاهر بالإغماء إذن كالعادة وحتى إشعار آخر...

(٤)

في المستشفى الحكومي مرة أخرى...

لم يكن الدكتور مرعي متواجدًا، ومنذ متى انتظم في الحضور؟! من سيراعي إذن عياداته الثلاث الخاصة التي تجلب له ثروة يوميًا؟!

كان أبو منسية يحملها وعلى وجهه أمارات الحنق... جالسًا في ممر الاستقبال ذي لمبات النيون المرتعشة يذب الهاموش عن وجه ابنته...

أخيرًا جاء دوره...

دخل متوقعًا مَن على شاكلة الدكتور مرعي... متوقعًا ذات المعاملة كلما دخل العيادة حاملاً منسية بين ذراعيه...

لكن ويا للمفاجأة... وجد ذلك الطبيب (ابن الناس)

كما يراه... نظر له الطبيب من فوق نظارته الطبية الأنيقة... وابتسم... ابتسم لتظهر غمازتان وسط خديه الحليقين... ووقف لتبدو قامته الفارعة وجسده المتناسق...

ومن بين عيني منسية المواربة المتظاهرة بالإغماء رأته...

أخذت تتفحص حذاءه النظيف وسرواله المكوي بعناية ومن فوقه جاكيت جلدي أنيق...

منسية صغيرة... على أعتاب المراهقة... وقد نسيت ما عساها أن تشعر به مراهقة تجاه تلك الرجولة الصارخة... تحاول أن تفتح جفنيها أكثر لتراه أوضح...

تحاول ألا تفتحهما أكثر كي لا يلاحظ أحد ذلك...

– تفضل...

جلس الأب غير معتاد هذه الكلمة، ووضع منسية على فخذيه...

الفستان الذي ترتديه منسية قد انحسر إلى أعلى كاشفًا عن فخذيها، ولأول مرة تشعر بالخجل، ليس من منظر فخذيها الضامرين، وإنما هو خجل أنثوي حقيقي.

وبدلًا من أن يطلب الطبيب من أبيها أن يضعها على منضدة الكشف، مد ذراعه وحملها، وبالذراع الأخرى أسدل الفستان على ساقيها...

كان عطره يملأ أنفها برائحة ذكورية خلابة... جعل

ذلك جسدها يرتجف للحظات، وتزداد دقات قلبها وهو يحيطها بذراعه ويضعها على سرير الكشف.

****

عندما كان يعود أبوها للمنزل بعد يوم عمل شاق من تحصيل فواتير الكهرباء، كانت خليلة تنتظره وتصب على جسدها العطر ذي الرائحة الحارة الخانقة.

كانت منسية حينئذ تجلس على الأرض تداعب فأرًا كان هناك أتى ليأكل بقايا الطعام عن ملابسها... عندما كان يدق الباب كانت خليلة تطلب من الطارق الانتظار قليلًا بميوعة لا مبرر لها، وكانت تشد ثوبها لأسفل حتى تصبح فتحة الصدر أوسع... تفتح الباب لتجد زوجها أمامها... تضحك في دلال وتجذبه للداخل.

كانت تدس الغذاء في فمه دسًا وهي تميل أكثر إلى الأمام وتنظر له نظرات ذات معنى... عندما يسألها سيد عن منسية تخبره بأنها تأبى الطعام وتسكبه على نفسها وعلى الأرض... هنا يصيح سيد والطعام يتناثر من فيه:

– لماذا يا بنت؟ ستزول النعمة عن وجهك بإذن الله!

فتربت خليلة على ظهره في افتعال طالبة منه ألا ينفعل وأن يأكل جيدًا لأنها... لأنها تريد الحديث معه على

انفراد... وتضحك ضحكتها المائعة...

بعد الغداء تأتيه خليلة بالشاي وهي تهتز في مشيتها، وتنحني أمامه فينصرف اهتمامه عن الشاي إلى أشياء أخرى... ويدخل سيد مع خليلة حجرة النوم...

ينغلق الباب...

تقوم منسية الصغيرة وتنظر من فتحة الباب...

كان الفضول يقتلها لتعرف ما يفعلانه، ومصدر تلك الضوضاء عندما يكونان معًا...

كانت تحملق...

ربما ينفتح فمها...

ربما تحمر وجنتاها...

ربما...

****

كشف الطبيب عن صدرها النحيل ذي العظام البارزة... وضع المسماع عليه وقطب جبينه... هتف الأب:

– ليس قلبها يا دكتور... إنه ساق...

– ششششش.

قالها الطبيب ثم أسند رأسها على صدره وأخذ يسمع ظهرها في اهتمام...

يا ليته يظل في هذا الوضع للأبد.. تلك الرائحة العطرية ممزوجة برائحة جسده نفسه...

أخذت منسية تشم بعمق، وعلى ثغر الطبيب تلاعبت ابتسامة خافتة، وقد اكتشف أنها متيقظة وتدَّعي الإغماء.

أراح رأسها على السرير مرة أخرى وأخرج كشافًا صغيرًا من جيبه، وسلَّطه على عينها وفتح جفنها...

قطبت فتأكد أنها تدعي... قام بقياس الضغط، ثم أخيرًا ألقى نظرة سريعة على الحروق، وقد أدرك أن الأمر أكبر بكثير من مجرد إعطائها أدوية للحروق.

ابتسم الطبيب للأب وطلب منه تركهما وحدهما قليلًا...

– ماذا ستفعل يا دكتور؟ عملية؟!

– لا.. لكن هل يمكنني التحدث معها قليلًا؟!

تركهما الأب غير مقتنع، ولكن ما عساه الطبيب فاعل بها؟ إنها مجرد جثة مرعبة، وإنها لشجاعة حقيقية أن يظل معها وحده!

عندما انغلق الباب سرت الرجفة في جسد منسية... ماذا يحدث؟ هل من الحكمة أن تظل على تظاهرها

بالإغماء أم تستيقظ الآن؟!

أحكمت غلق عينيها وتنفست بعمق... الهواء يحمل رائحته... رائحة الرجولة...

انحنى الطبيب بجانب وجهها وأخذ يتأملها في شفقة...

- الآن... نحن وحدنا... أعلم أنك تسمعينني... فهلا أريتِني تلك العينين الخضراوين مرة أخرى؟

تتزايد دقات قلب منسية مع نبرة صوته الخشنة المبحوحة قليلًا... فتحت عينيها ببطء ونظرت إليه... لأول مرة من هذه المسافة القريبة تراه...

شعره الناعم القصير... حاجباه الكثيفان الملتصقان... رموشه السوداء الكثيفة... أنفه الروماني... وذقنه المربعة المشقوقة... ووجهه المزدان بغمازتين على كل جانب...

قبضت بكلتا يديها على الملاءة وكأنها تكاد تسقط في بحر إن لم تتشبث في قوة...

- الله... ما أجمل عينيكِ... ما اسمك؟ لم أُرِد سؤال أبيكِ عنه لأني أريد سماع صوتك...

بصوت مبحوح قالت "منسية"... ولضعف صوتها وغرابة الاسم لم يسمع الطبيب، فاقترب أكثر منها وقرَّب أذنه من فمها...

أخذت تشم العطر أكثر فأكثر...

- منسية... اسمي منسية...

- اسم جميل... لكنه غريب كذلك...

أمسك يدها وعاونها على الجلوس وسألها:

- هل تعلمين ما اسمي؟

وانحنى يجذب مقعدًا وجلس أمامها... ركبتاها في مستوى صدره...

- اسمي دكتور جاسر... والآن أريني ما حدث لساقيك...

أزاح الفستان الطويل عن ساقيها، ووضع قدمها اليمنى على فخذه...

ضمت ساقيها بشدة، وأنزلت الفستان إلى ركبتيها، فابتسم الطبيب ابتسامة أجاد إخفاءها و لم يعلق...

- إنها حروق سطحية بسيطة... بعض المراهم وستزول تمامًا... كم سنك يا منسية؟

- اثنا عشر...

- في المدرسة؟

- نعم... ولكني لا أذهب كل يوم...

- لماذا؟!

- لا أريد... لا أحبها... أين أبي؟!

- أبوك بالخارج... ألا تريدين الحديث معي؟

لم تَرُد منسية... لماذا يريد الحديث معها؟ هي التي لم تتبادل أكثر من ثلاث كلمات مع أي شخص؟ هي التي لا يعرف أغلب المحيطين بها صوتها؟!

- حسنًا... هل تمانعين أن نكون أصدقاء؟

- ......!

- إذا رفضتِ فسأموت من الحرج! هل تريدين حرماني من تلك الصداقة؟!

زادت عيناها اتساعًا، ثم قفزت من على السرير متجهة إلى الباب منادية أباها، الذي دس رأسه فورًا في فرجة الباب متسائلًا...

فتح جاسر ذراعيه مبتسمًا، وهز كتفيه بمعنى أنه لم يفعل شيئًا...

- لو سمحت لي يا عم... هل تمانع في معرفة اسمك؟
- سيد... عم سيد...
- حسنًا يا عم سيد... إن منسية في حالة حرجة، ليس من ناحية الحروق، ولكن من ناحية ضعفها الشديد وسوء تغذيتها... إن ذلك النحول قد يقضي عليها في وقت قصير، لكنني أعرف علاجها... أو أظن ذلك...

فتح الأب فمه في بلاهة... لماذا لم يلحظ فعلًا نحول ابنته الشديد إلا الآن؟! ربما لأن جميع الأطباء في المستشفى الحكومي لم يلتفتوا إلى خطورة ذلك، وأن أي نحول هو إنيميا بالنسبة لهم إلى أن يثبت العكس... والعكس يثبت بالصدفة البحتة طبعًا.

جلس جاسر وأجلس سيد أمامه، ثم أمسك بركبتي الرجل على سبيل التبسُّط وسأله:

- عم سيد... هل تمانع في أن أرى منسية في جلسات علاج خاصة؟

هنا أحس سيد بأنه سيدخل الفخ... جلسات خاصة معناها عيادة... وعيادة معناها ماكينة حلب لنقوده القليلة من جيبه... لا... لن ينزلق إلى هذا الفخ...

- آه... حسنًا... سأرى...

وهمَّ سيد بالقيام، لكن جاسر قام وأمسك كتفه هاتفًا...

- لا يا عم سيد... لا تخشَ موضوع المال... أعلم أن ذلك ما سيخطر على ذهنك...

نظر له سيد غير مصدق...

- أي إنه لا أموال؟

- لا أموال...

– ولا ذهاب لعيادات في آخر الدنيا؟!

– لا عيادات في آخر الدنيا... لا عيادات من الأساس... هل تمانع في أن تتلقى منسية علاجها في منزلها على نفقتي؟!

لقد فاق هذا أكثر أحلام سيد جموحًا... أخيرًا يمكن أن تشفى منسية وتصبح فتاة عادية، وحينها... حينها يمكنه الزواج للمرة الثالثة، أو حتى رد خليلة.

أخذت منسية ترمقهما في عدم فهم... ثمة ما يقال بشأنها، لكن ما هو؟ ما هو؟

****

بعد وفاة والدتها بشهور أربع جاء جارهم المعلم أبو الوفا ليخطب أباها لأخت زوجته الأرملة المقيمة معه "خليلة"...

تهللت أسارير الأب وكأنه طفل نسي لعبته القديمة بمجرد أن لاحت واحدة جديدة في الأفق...

– لكن... هل ترضى يا حاج أبو الوفا؟

– ولماذا لا ترضى؟ أنت بسم الله ما شاء الله سيد الرجال وعشرة عمر... والصحة تمام... هذا هو ما يهم المرأة...

وأخذ يغمز بكلتا عينيه ويتبادلان نكاتًا لم تفهم منسية معناها، وظلا يقهقهان... لكن أباها صمت فجأة واقترب من أبي الوفا هامسًا:

– وماذا أفعل بتلك الفتاة في الداخل؟ إن منسية طفلة وحيدة وستذيقها العذاب في تربيتها...

– ولا يهمك يا سيد... إن الفتيات يكبرن برغم كل شيء، عدة أعوام وتزوِّجها... عندها يخلو لك الجو!

وأخذ يضحك بينما اتكأ الأب على الأريكة متمتمًا...

– أزوِّجها؟ يا مين يعيش...

(٥)

وفي المدرسة أخذت منسية تفكر فيما قد عساه قيل بين أبيها وجاسر... نعم، جاسر بدون ألقاب... ألم يطلب صداقتها؟!

كانت منزوية في ركن فناء المدرسة تلعب في الرمال بطرف حذائها الأسود الواسع...

جاءت "فُتنة" صديقتها الوحيدة ذات الهالات السوداء تحت عينيها، والشعر الخشن المربوط بشريط أبيض متسخ مبقع بزيت الشعر...

كانت تحمل كيسًا من تلك الأكياس ذات الماصة، والتي تملأ بسائل أخضر من المفترض أنه عصير القصب...

– هل ترغبين في القليل؟!

مدت فُتنة يدها بالكيس وقرَّبته من فم منسية، ولكنها بداخلها تمنت ألا تشرب؛ لأنها تريد أن تشربه كله وحدها.

لكن منسية أشاحت بوجهها، فأخذت فُتنة تمتص العصير في جشع وترمق بطرف عينها منسية التي بادلتها النظرات المتقززة... لم تُرِد فُتنة أن ينظر إليها أحد وهي تشرب هكذا، حتى لا ينزل الشراب (بالسم) في معدتها، فمدت يدها مرة أخرى بالكيس إلى منسية.

– خذي رشفة... رشفة واحدة... هيا...

مدت منسية يدها المرتجفة لتمسك بالماصة وتقربها من شفتيها...

ورشفت...

قطرة واحدة وتقلص وجهها، وأفرغت معدتها الخاوية على الأرض...

قامت فُتنة إليها متسائلة وهي تجثو أمامها على ركبتيها على الأرض:

– ما لك؟ لم تتقيئين كلما رأيت أي طعام أو شراب؟

نظرت لها منسية نظرة خاوية و لم تجب... فقامت فُتنة وجلست بجانبها مرة أخرى وأخذت ترشف العصير.

لم تبتسم فُتنة من قبل، كانت متجهمة دومًا، ذات نظرة متفحصة ثابتة... لم يكن لها أصدقاء إلا منسية –إن صح

أن نطلق على علاقتهما الصامتة صداقة.

كانـت فُتنـة ابنـة حانوتي، تسكـن في المقابـر، وكان الأطفال يكرهونها لذلـك، ولأنها متجهمة... ولأنها غير جميلة... غير نظيفة...

لم تكن تهتم... لماذا تبحث عن صديقة تقاسمها كل شيء... طعامها... شرابها... ربما تشاركها عريس المستقبل كذلك... هذا إن جاء أصلًا...

كانت فُتنة دائمة الجلوس جوار منسية... يرمقان العالم معًا... صامتتين كعمودي إنارة... كئيبتين كجنازة...

أحيانًا تتكلم فُتنة وتصغي منسية... كان ذلك أفضل لفُتنة؛ فهي لا تريد أن يشاركها أحد حتى في الكلام...

ألقت فُتنة الكيس الفارغ على الأرض واقتربت من منسية...

- أسالك عن شيء ولكن ردي علي... فأنا أشعر كالمطرب الذي يغني لأصم...

انتظرت منسية سؤالها...

- قولي لي... هل... أعني... ألم يحدث لك أي تغيرات في جسدك في الشهور الماضية؟

قطبت منسية جبينها و لم ترد...

- أعني...

وأمسكت فُتنة قميصها من جانبي الصدر لجعله أضيق...

- أشياء كهذه... أليس عندك مثلها؟

رمقت منسية جسد فُتنة وليد الأنوثة و لم تعلق...

- هل تعلمين؟ إن الرجال يحبون هذه الأشياء...

نظرت لها منسية وابتسمت بجانب فمها... إنها تعلم جيدًا أن الرجال يحبون هذه الأشياء... أبوها رجل، وخليلة كانت تملك الكثير منها...

- هل تعلمين أيضًا... لا... لن أقول لك... أنت لا تتفاعلين معي...

- أنا أسمعك...

- تعالي معي إلى دورة المياه... سأريك شيئًا.

****

أخذ جاسر يقضم أظفاره وهو يرمق الشارع الذي تطل عليه شقته الفاخرة... كان يشعر بفراغ... لكنه اعتاد الوحدة منذ عاش وحده وأبواه يعملان في إحدى دول الخليج...

يرن هاتفه المحمول... يضيء وينطفئ فتجعله الأنوار الخافتة المتقطعة... ينفصل أكثر عن العالم... منسية... أول حالة أنوريكسيا حقيقية يراها أمامه... ذلك المرض النفسي الذي يُدعى فقدان الشهية الهستيري... ذلك المرض الذي حيَّر الأطباء في علاجه...

المريض الذي صُدِم في طفولته غالبًا صدمة متعلقة بالطعام، كأن رأى السمنة تدمر أحد المقربين إليه مثلًا... ولكن من منا لم يصدم في طعام أو انحشر الطعام في حنجرته يومًا، ومع ذلك لم يصب أحدنا بذلك المرض... لماذا يصاب به البعض دون البعض؟ معضلة الأمراض النفسية الكبرى... ليست دومًا نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج... لهذا يظل علم النفس وليدًا غير مؤكد، برغم مرور كل تلك القرون على نشأته...

كان يفكر في أن تكون رسالة الماجستير الخاصة به عن مرض نفسي غريب غير مطروق... ربما يصل للسر... ربما يصل لأنه مختلف... لأنه جاسر...

ذلك كل شيء...

والمرض الغريب قد طرق بابه بالأمس، وهو لن يغلق الباب في وجهه... لا بد أن يغتنم تلك الفرصة التي لن تعوض أبدًا.

سكت رنين هاتفه المحمول، ومعه أفاق جاسر من خواطره... قام ونظر نظرة خاطفة إلى الهاتف، ثم ألقاه على الأريكة.

استبدل بملابسه أخرى للخروج، ثم رمق نفسه بنظرة راضية في المرآة، ثم نثر عطره الفاخر المميز على ثيابه، وأخذ مفاتيح السيارة وانطلق...

دس شريطًا قديمًا لعبد الوهاب في جهاز التسجيل... لماذا يحب عبد الوهاب؟ ربما صوته الرخيم يبعث فيه شعورًا بالراحة والأمان...

أخرج من جيبه الورقة المخطوط عليها عنوان منسية... لا يعرف إن كان بإمكانه الوصول إليه دون أن يضل الطريق... سيسأل وحتمًا سيصل...

حتمًا...

****

كانت منسية تحدق في الشيء الذي أرتها إياه فُتنة، ثم أدارت وجهها المحمر، وأخذت تتنفس في سرعة واضطراب...

– مالك يا منسية؟ هل رأيت عقربًا؟!

وأخـذت فُتنـة تـزرر أزرار قميصهـا وتعـدل وضـع ملابسها...

– حسنًا... لن أريكِ شيئًا بعد ذلك... هل تعلمين يا منسية...

واستندت بذراعها إلى حائط الحمام...

– إن جسدك يشبه أجساد الرجال... ربما تخفي الملابس الحقيقة... أريني... أريد أن أعرف...

فجأة صاحت بها منسية:

– كفى... كفى... كفى...

وهرولت منسية خارج الحمام، وصعدت إلى الفصل الخالي من الطلبة... احتضنت حقيبتها ودفنت فمها وأنفها فيها... بينما ظلت عيناها الخضراوان تطلان من فوقها... وأخذت ترتجف وترتجف...

ومن مكان ما من عقلها شمت رائحة جاسر وشعرت بدفء جسده...

****

أمام المنزل القديم رمق جاسر الوريقة ليتأكد من صحة العنوان، ثم ارتدى نظارته الشمسية وخرج من السيارة.

دلف إلى مدخل البيت الذي تفوح منه رائحة قلي شيء ما، وفكر أنه جاء مبكرًا جدًا... دق جرس الباب فلم يرد أحد... نظر في ساعته... إنها الثالثة... أين منسية وأبوها؟ ربما لم يعد الأب من العمل بعد... لكن المدارس الحكومية تنهي دوامها مبكرًا... فأين الفتاة؟

شرع يهبط السلم في بطء، وعلى بوابة المنزل وقف واضعًا يديه في جيبي سرواله، وأخذ ينظر يمينًا ويسارًا في ملل...

من بعيد كانت منسية قادمة تجر قدميها... وحين وقفت أمامه رفعت عينيها إليه... ورأت ابتسامته... وفي ذهنها أن الوقت غير مناسب تمامًا.

- منسية... أين كنت؟!

- في الطريق...

- إذن هل معك مفتاح؟!

- لا... أجلس أمام الشقة حتى يأتي أبي...

جلس جاسر على عتبة المنزل وأشار لها...

- حسنًا... سنجلس حتى يأتي عم سيد!

- ولكن... لا يصح... إن ملابسك سوف...

- لا تعبئي لهذا... اجلسي... أم... هل تأكلين شيئًا معي؟!

- لا!

قالتها قوية عالية ونظرت إلى الأرض...

- حسنًا... سآكل أنا ثم نعود لوالدك... ستأتين معي وتتحدثين إلي بينما أتناول غدائي.

وقام وأمسك بيدها وفتح لها باب السيارة...

- ما رأيك في سيارتي؟!

نظرت منسية للسيارة ثم له... ودون تفكير دخلت السيارة والتصقت بالباب... نظر لها وهي منكمشة في ركن الكرسي وابتسم... إن الحواجز تنكسر إذن والطريق إلى مبتغاه مفتوح.

****

في ذلك المطعم الفاخر جلس جاسر أمام منسية الواقفة مرتبكة متضائلة... يرمقهما الناس في دهشة... فتاة نحيلة ترتدي زيًا مدرسيًا... ورجل في وسامة آلهة الإغريق... يدخلان هذا المكان الفاخر... ولا يبدو أنهما قريبان إلا كما يبدو المربع قريبًا للدائرة!

تدور منسية بعينيها في المكان مطرقة الرأس في خجل... تشعر بأن وجودها نفسه يتلاشى... تتمنى التلاشي بشدة حتى يكف الناس عن تسديد تلك النظرات لها...

عقد جاسر ذراعيه وهو ينظر لها مبتسمًا...

- اجلسي!

تنظر منسية للكرسي الفخم ثم تجلس في تردد على حافته... يشير جاسر للنادل أن ينصرف الآن...

ينحني النادل في أدب وينصرف محاولًا عدم النظر إلى منسية...

- والآن... هل تأكلين معي أم آكل وحدي؟!

- لا... لا أريد طعامًا... هل من الممكن بعض الماء؟!

- حسنًا... بعض الماء... ولكن ما رأيك في تفاحة؟ أريد أن أراك تأكلين...

صمتت منسية وأخذت تعبث بخاتمها الصدئ... أمر جاسر بطعام لشخصين... ثم نظر لها عاقدًا حاجبيه في غضب مصطنع...

- أولًا... لن أتحدث معك دون أن تردي علي... سأصمت حتى تردي... ثانيًا سنأكل معًا ولو شيئًا بسيطًا... ها... أريني أسنانك!

ابتسمت منسية ابتسامة شاحبة وأطرقت برأسها ولم ترد...

سادت فترة من الصمت إلا من قرعات أنامل جاسر

على المنضدة وهو يثبت نظراته عليها...

كيف سيبدأ معها؟ كيف سيكسر حاجز الصمت؟ هكذا فكر... إن مريض فقدان الشهية الهستيري يأكل حتمًا... ولكن ليس بالأكل المشبع أو المفيد... أحيانًا يعتمد على ثمرة فاكهة أو فنجان قهوة أو حتى السجائر... لكنه يفعل ذلك مجبرًا... إما من أهله أو من غريزة الحياة التي دائمًا ما تنتصر... لكنه يفعل ذلك مكرهًا تغالبه رغبة عارمة في القيء.

هل ستأكل منسية من أجله؟ هل يستطيع إيقاعها في شباك الثقة المتبادلة؟ إنه لا يريد شيئًا سوى خبرة وقصة حقيقية تدعم دراساته، هذا بالإضافة لكون انغلاق منسية تحديًا لقدراته الشخصية في العلاقات العامة!

إن لقاءه بها كان بالصدفة البحتة، حيث كان في حجرة الكشف عند خاله الدكتور مرعي، الذي استأذنه لمكالمة هاتفية مهمة رحل بعدها وتركه في العيادة... لم يخبر أبا منسية حقيقة أنه لا يعمل في قسم الأطفال؛ لأنه وجد في منسية ضالته... إنها مثال للمرض كما كتب له أن يكون... جسديًا ونفسيًا... هذا بالإضافة إلى كونه يحب علم نفس الأطفال بشكل خاص.

ربما أيضًا أنه أحب أن يخوض ذلك التحدي عابرًا

غابات علم النفس الشائكة، واصلًا إلى ما لم يتمكن غيره من الوصول إليه؛ لأنه مختلف... لأنه جاسر...

جاء النادل حاملًا سلة فاكهة وطبقي لحم مشوي وخضر مسلوقة وسلة خبز... ثم انحنى وألقى نظرة سريعة على منسية ورحل...

مد جاسر يده بالشوكة وغرسها في قطعه جزر... أكل نصفها... ثم مد يده بالنصف الآخر إلى منسية...

نظرت للجزرة ثم إليه من ورائها... تلك الابتسامة التي تمزقها... شفتاه اللتان تطبقان على روحها...

تعتصرها...

تخرج كل ما بها من أحلام... ورغبات...

لماذا يعاملها هكذا؟ لماذا لا يذعر منها مثل الآخرين؟ الأدهى أنها تريده أن يستمر في هذا... تريده ولا تريده...

لمست الشوكة بأطراف أناملها وأبعدتها عن فمها... تلمس أصابعها أصابعه فتبتعد عنها بسرعة كأنما لمست عقربًا، ثم تضم كفيها معًا وتضعهما على فخذيها في ذعر...

كان جاسر يدرك ما يفعله جيدًا... يدرك مغزى كل لمسة من أناملها، وكل حركة لا شعورية منها... كل دقة قلب زائدة تفضح ما بداخلها من ثورات... كان يعرف

تأثيره على النساء، لكن من يعتبر منسية امرأة؟ إنها طفلة... ربما كانت على أعتاب المراهقة والنضج الجسدي، لكنه أقنع نفسه بأن ضمورها الجسدي سيؤدي حتمًا إلى تأخر نضوجها الجنسي.

لكن هل مجرد ظنه سيغير من حقيقة أن نمو منسية النفسي والجسدي لم يتأخر، ربما كان مبكرًا كذلك...

لم يهتم جاسر بذلك قدر اهتمامه بالحصول على معلومات وافتتانه بالتجربة... تجاهل أبسط قواعد البحث... من إجراء فحوص على موضوع البحث... ومقارنة النضج النفسي بالجسدي لمريض في هذه السن الشائكة... ربما أدى سوء التقدير إلى تدهور حالة المريض، أو حتى إعطاء نتائج غير دقيقة، والإيحاء بالشفاء الزائف.

إن أقصر طريق لكسب ثقة مراهقة هو التلاعب باحتياجاتها النفسية والجسدية... وبتجاهله الجوانب الجسدية، ظن أن التلاعب بالجانب النفسي آمن ويعطي نتيجة أسرع... فهو لا يريد لهذه التجربة أن تطول؛ فهي غير قانونية بكافة الأشكال.

بالطبع فهم مغزى ذعر منسية إثر لمسها ليده، لكنه اعتبرها خجلًا طبيعيًا من شخص لا تعرفه... أخذت منسية تنظر للجزرة وإلى آثار أسنانه عليها... تضغط على أسنانها

أكثر فأكثر... وتتنفس بصوت عال...

قطَّب جاسر جبينه لأنها كانت فعلًا ترتجف... كانت تغمض عينيها وترتعش... فقام إلى الكرسي المجاور لها ووضع كفه على ظهرها...

لا تطيق منه تلك اللمسة المنزلقة على ظهرها... يمسك يدها فيجدها مثلجة... أمسك كلتا يديها بكفه وأخذ يفركهما في قلق بينما كل جسدها متصلب تمامًا...

- منسية... افتحي عينيكِ... ما الذي لا تريدينه أن يخترق عينيكِ فتغلقيهما عنه؟ إن الحياة جميلة وتستحق أن نحتفظ بكل صورة منها داخلنا... هيا افتحي عينيكِ...

انظري إلى هذا المكان الجميل... إلى الفاكهة الملونة... مُدِّي يدك والمسيها... المسي هذا الخبز الدافئ الناعم... المسي العصير المثلج المجنون... افتحي عينيك واشعري بذلك... اشعري بالدفء... اشعري بجمال الصورة حولك... اشعري بالسعادة لأنك هنا بالذات.

تفتح منسية عينيها ببطء... الطعام الساخن والألوان البراقة... أمامها يمد جاسر الشوكة بقطعة الجزر... تقترب الشوكة وتقترب آثار أسنان جاسر من شفتيها... تفتح فمها وتلمس بشفتيها آثار أسنانه... تلمسها بلسانها الجاف

وهي تغمض عينيها في نشوة هذه المرة...

تسقط الجزرة في فمها دافئة... شهية... تغلق فمها عليها... تشعر بلذة غريبة... لكن معدتها تنقبض... لا تريد أن تتقلص معدتها... تريد أن تبتلع هذه الجزرة بالذات... لا بد أن تبتلعها...

– برافو يا منسية... هيا... افتحي عينيكِ جيدًا...

تفتح عينيها لتجده يقشر موزة... ويقربها إلى فمها...

****

ومن خلف الأريكة ذات الورود كانت الطفلة منسية تبكي... ما زال طعم السبانخ في فمها... طعم حامض لاذع...

لم تكن تعرف أن هذا ليس طعم السبانخ... إنها سبانخ فاسدة في الواقع؛ لأنها ظلت خمسة أيام تأكل نفس السبانخ المتروكة في المطبخ خارج الثلاجة...

كانت تعتصر بطنها ويغالبها القيء...

تتقيأ من السبانخ الفاسدة...

وتتقيأ مما تراه يوميًا خلف الباب المغلق...

تبكي وحدها... والفأر يزحف بجانبها طالبًا الدفء...

كانت تتلوى ألمًا... تريد أن ينقذها أي شخص... تسمع تلك الأصوات التي لا تفهمها من خلف الباب...

تتلوى... تنادي أباها...

لا تستطيع التنفس...

تجري فاتحة الغرفة مغمضة العينين...

تسمع صوت زوجة أبيها تصرخ... لكنها لا تأبه... تقف أمام السرير... وعلى ساقي زوجة أبيها تفرغ معدتها.

****

كان سيد يذرع المنزل جيئة وذهابًا... أين ذهبت منسية؟ إنها لا تجلس على السلم، وليست عند أحد من الجيران... الساعة تتجاوز الخامسة... هل يذهب ليراها عند فُتنة؟ إنه لا يريد اجتياز المقابر في هذه الساعة، خاصة والغروب دانٍ... لكن ما باليد حيلة.

لم تطل حيرته أكثر؛ إذ بدت من أول الشارع سيارة فاخرة بترولية اللون، يطل عبر زجاجها الأمامي رأس ابنته وبجانبها جاسر مبتسمًا...

تقف السيارة أمام المنزل، ويفتح جاسر الباب لمنسية التي تبتسم لأول مرة منذ أعوام... هنا ينقض سيد على ذراع

ابنته فتصرخ... تسقط على ركبتيها...

- أين كنت يا ابنة الـ(.....)؟!

يحاول جاسر انتزاع منسية من أبيها... بينما يتحلق حولهم الجيران...

- وأنت يا طبيب النكد... من طلب منك اصطحابها إلى أي مكان؟!

- اصبر يا عم سيد وسأشرح لك... لكن اتركها... هل يمكننا التحدث بالداخل؟!

يترك الأب منسية تسقط على الأرض ويقترب من جاسر مكورًا قبضتيه والزبد يتطاير من فيه...

- اسمع... لا نريد خدماتك ولا علاجك... إن تربية البنات لعنة... فلا تلهُ بشرفنا الذي لا نملك سواه... إن رأيتك هنا ثانية فلن...

- لا داعي... لا داعي...

ونظر جاسر إلى منسية التي بدأت في القيء مرة أخرى... لكن الأب يحمل ابنته ويصعد إلى شقته... تاركًا جاسر وحده يضرب جبينه في حنق...

(٦)

منسية ذات القوام الرائع الذي يشبه قوام العارضات...

منسية ذات الشعر الأسود الثقيل البراق ينسدل حتى منتصف ظهرها...

سرير وردي اللون من المخمل... تحيط به ستائر وردية شفافة تتطاير بفعل نسيم معطر...

معطر برائحة الرجولة... جاسر...

تفتح الستار ببطء لترى غمازتيه...

شعره الأسود الناعم القصير...

عينيه الجريئتين... الحانيتين...

وتكوين عضلي كتمثال أدونيس...

يرتديان ثوبًا واحدًا فضفاضًا...

شفافًا... ناعمًا...

وإن ينزلق الثوب عنهما فما الذي سيتغير؟

أن تراه كما تحب أن تراه...

أن تشعر به كما يجب أن تشعر...

أنفاسه الحارة العطرية تداعب خصلات شعرها... لتمتزج الأخيرة ببتلات الأزهار الزرقاء المتطايرة...

يقترب منها أكثر... يقترب لترى أكثر الرجال وسامة و...

يتساقط شعره عليها... يتقرَّح جلده كأنما يحترق من دون نار...

وما زالت ابتسامته رغم تساقط شفتيه...

تتساقط الدماء من وجهه على صدرها... تنزلق فيذوب جلدها...

ويدها التي تلتف حول عنقه تتعرى من الجلد...

من العضلات... فتصرخ...

وتصرخ...

****

ظل ذلك الكابوس يراودها طيلة طريقها إلى المدرسة في الصباح التالي... من وقت لآخر كانت تنظر إلى كفيها لتتأكد أن لحمها لا يتساقط... لكن من داخلها كانت تشعر بذات الاستثارة التي شعرت بها في الحلم.. استثارة مجنونة شاذة... لكنها أحبتها...

أمام المدرسة كانت فُتنة تستند بظهرها إلى السور وفي يدها ذلك العصير الأخضر... بينما ترتدي تنورة رمادية زادت في طول فتحتها عمدًا... لم ترد منسية إطالة النظر إلى ساق فُتنة السمراء الممتلئة... فتوقفت أمامها مطرقة إلى الأرض.

- منسية... أنا لم أقصد شيئًا... فقط كان ذلك فضول مني... فأنت تعرفين أن ما يمر بجسدي شيء لا أفهمه إلا من همسات الفتيات... ولكنك تعرفين أنه لا صديقة لي سواك... ولا صديقة لك غيري... لا تغضبي.

كانت منسية تحبها بشكل ما... تحبها ولا تعلم إن كانت تحبها لأنها هي، أم لأنه لا يوجد سواها...

- ما رأيك يا منمن... لن نذهب إلى المدرسة اليوم وستأتين معي لداري... سنفطر معًا ثم نجلس ونتحدث في كل شيء... إن أبي لديه عمل كثير اليوم... المنزل سيكون لنا وحدنا... ما رأيك؟!

نظرت منسية إلى المدرسة كئيبة المنظر، وتذكرت حلم أمس... كانت تشعر برغبة في أن تحكي هذا الحلم... حسنًا... ستذهب معها وإن أحست برغبة في الحَكيِ فستحكي... لن تخسر شيئًا...

****

اجتازتا المقابر متجهتان إلى إحدى الغرف التي تحوي شاهدًا لقبر... حجرة كبيرة تسكن فيها فُتنة مع أبيها الحانوتي، وقد كف أصحاب القبر عن السؤال عنه منذ عقود...

دفعت فُتنة الباب بيدها اليمنى وسحبت منسية للداخل... أخذت منسية تتلفت حولها مطرقة الرأس... رأت شاهد القبر فانتابتها القشعريرة التي تنتابها كلما رأته... ألقت بنفسها على الأريكة الخشبية ورفعت رأسها لأعلى وفتحت عينيها وفمها...

وكانت فُتنة ترمقها واضعة قبضتيها على خصرها...

– منذ أيام رأيت جثة حديثة الدفن، وكانت تشبهك كثيرًا!

قطبت منسية ونظرت لها في استنكار، فاقتربت منها فُتنة وجلست بجانبها...

- لكنـي لا أخافـك... أنـا أحبـك... ربمـا لأنـك تحبيننـي... ويـا حبيبتي كلنـا جثث تمشـي... فما الفارق في حالتـك إن كنت تشبهـين الجثة فعليًا؟! ولكـن... هل وجهـك فقط هـو الشاحـب بهذا الشـكل؟ أعنـي... هل أنـت نحيلة بالقـدر الذي يوحي به وجهك؟ أنا لا أريد أن أغضبك... لكنني أريد أن أرى... فقط... ربما أمكنني مساعدتك... ألا تريدين أن تكوني مثلي؟!

وجذبت التنورة لأعلى ومدت ساقها وأخذت تديرها يمنة ويسرة... أشاحت منسية بوجهها... لم يكن هذا ما تصورته عن قضاء اليوم... لكنها لن تستطيع العودة إلى المدرسة الآن... تريد الجلوس والتفكير في ذلك الحلم الجميل... تريد النوم مرة أخرى.

- ما لك يا منسية؟ حسنًا... لن أجبرك على شيء...
- أين أبوك؟
- ألم أقل لك إنه مشغول اليوم؟! 4 دفنات... إنهم يغسّلون ميتًا في الغرفة المجاورة... هل تريدين المشاهدة؟
- لا!

وأطرقت بوجهها إلى الأرض، ثم تحسست جيب قميصها مخرجة ورقة صغيرة وأردفت:

– هل لديكم هاتف؟

– لا بالطبع! لكن هناك كشك به هاتف... لكني لن أرشدك إليه إلا إذا أخبرتِني... رقم من هذا؟!

وغمزت بعينها في خبث، لكن منسية لم تكن راغبة في الكلام... إنه رقم جاسر... أعطاها إياه قبل مغادرة المطعم، وطلب منها أن تتصل به إذا احتاجت لأن تتحدث مع أحد... إنها تريد سماع صوته الآن... لكن ليس معها مال للهاتف... ماذا تفعل الآن... لا تستطيع العودة إلى المدرسة أو المنزل أو المكوث مع فُتنة... إنها لم تنم ليلة أمس من ضرب أبيها وصراخه فيها والدعاء عليها بالهلاك...

تريد النوم...

تريد الموت ولو لمرة واحدة فقط!

– فُتنة... هل أستطيع أن أنام قليلًا؟

تهللت أسارير فُتنة وبدت مرحبة بشدة... أخبرتها بأنها يمكنها النوم خلف الستار القماشي على الحشية التي تنام عليها هي، وأخبرتها بأنها ستذهب لتغسل ملابس أبيها وتعود لتوقظها في ميعاد العودة من المدرسة...

قامت منسية وافترشت الأرض... شعرت براحة عجيبة... لأول مرة تنام دون أن تخشى أن يوقظها أحد بالصراخ...

أخرجت الوريقة، تلك التي خطها جاسر بيده... قربت الورقة من أنفها... شمت العطر... وأخرجته بلهيب حارق من صدرها...

وغابت في نوم عميق...

تشعر ببرودة في ساقيها... ملمس غريب ينزلق من ساقها إلى فخذها... تتكرر الحركة بالعكس...

لا تشعر بأصابع قدميها...

البرد يتسلل إلى صدرها... نفس الملمس الغريب... والحركة الغريبة...

تشم رائحة قوية... عطرية... جاسر...

لا تستطيع فتح فمها...

لا شيء من جسدها يتحرك... لكنها من الداخل تموج... تزأر...

تهتز...

تتداعى...

واللمسة تزداد قسوة...

تفتح عينيها بغتة، فترى مخلبًا عملاقًا يخدش ساقيها... من أسفل إلى أعلى... أعلى...

تصرخ دون صوت...

تدور الدنيا حولها وتحاول الإمساك بالمخلب...

تفتح عينيها لتجد نفسها ممسكة بذراع فُتنة التي تظللها شبه عارية... وتتدلى سلسلتها الذهبية فوق عيني منسية...

ينتفض جسدها... فتقوم منكمشة إلى الحائط...

ساقاها عاريتان وصدرها مفتوح...

تضم ملابسها عليها وتحدق بفُتنة ذات الملامح الوحشية...

لم يبد على فُتنة أي ارتباك، فقط قامت وجلست إلى طست الملابس تغسل أثواب أبيها...

دون كلمة أخرى قامت منسية واختطفت حقيبتها وجرت إلى الشارع... تعدو بين المقابر...

نسوة متشحات بالسواد يصرخن ويلطمن الخدود...

صوت أنفاسها يعلو ويعلو فوق دقات قلبها...

بضع خطوات أخرى وشعرت بقلبها يتخلى عنها...

سقطت وفوقها الحقيبة...

وما زالت النسوة يصرخن ويصرخن..

(٧)

– جاسر... أنت مجنون! أنت مجنون وأناني... وستأتي لها ولنفسك بالخراب...

– مجنون؟ أنا؟ هل لحبي للعلم أم لطموحي؟ هل لأني أريد أن أنقذها من ذلك الأب المجنون ومن مرضها المهمل؟

– أما ذلك الحنان البطولي فلا أصدق... أنت فقط تريد الاحتفاظ بموضوع بحثك تحت يديك... لكن هذا غير قانوني... سأبلغ الشرطة عنك...

– خالي... إنه مستقبلي الخاص أفعل به ما أشاء... ولا أوصياء علي...

ويخرج جاسر من عيادة خاله تاركًا إياه يستشيط غضبًا...

لكن جاسر قد حزم أمره... إن الفرصة لا تجيء للمرء مرتين...

(٨)

عندما خطت منسية أولى خطواتها إلى منزل جاسر شعرت بدفء غريب... رائحة عطره تفعم الجو...

وسرت قشعريرة في ظهرها...

عندما سقطت في المقابر لم يتعرفها أحد... كل ما وجدوه معها هو كتبها المدرسية ورقم هاتف جاسر... طلبوه فجاء مسرعًا وحملها في سيارته وانصرف...

عندما أفاقت من الإغماء وجدت نفسها في مستشفى خاص تتلقى المحاليل الوريدية، ويطل عليها جاسر بغمازتيه المطمئنتين...

ظلت في المستشفى الخاص ثلاثة أيام، والآن يصطحبها جاسر إلى منزله...

لم يشأ جاسر أن يخبر أباها بأنه وجدها، كنوع من التأديب من جهة، ومن جهة أخرى حتى يوفر المشاكل التي بدورها سوف تقف عقبة بينه وبين موضوع بحثه... وما الخطأ في ذلك؟ هو يحميها ويقدم لها الشفاء مقابل أن يأخذ هو منها ما يفيد أبحاثه... لعبة نفسية يعلم جاسر أنه يلعبها مع نفسه كي يخرس ضميره، لكنه لم يتوقف أكثر عند هذه النقطة... إن هي إلا بضعة أشهر ويعيدها لأبيها... لا يعلم ما سيقوله له... لكنه طمأن نفسه بأنه سوف يجد حلًا عند الوصول لهذه النقطة.

- منسية... هذا منزلك... تفضلي.

دخلت منسية متنفسة بصوت عال كعادتها عند الارتباك... يدها اليسرى مضمدة إثر السقطة، لكنها كانت حقًا سعيدة.

سعيدة سعادة فاقت كل توقعاتها... تريد أن تجري...

تضحك...

تبكي...

تلقي بنفسها بين ذراعيه...

وعلى ركبتيه ركع جاسر أمامها قائلًا:

- كل شيء سيكون تحت أمرك... المشكلة تظل في موضوع المدرسة... إذا ذهبت إلى المدرسة فسيجدك

أبوك... فهل تريدين الذهاب مع احتمالية الرجوع إلى أبيك في أي لحظة؟

أطرقت بوجهها وهزت رأسها يمنة ويسرة... أن لا.

- حسنًا... سأكتب لك شهادة مرضية وأقدمها للمدرسة... لكن ربما يذهب أبوك ويسأل عنك.. عندها سيقولون له إن عندهم شهادة مرضية باسمي... حينها... ربما لو... لا أعرف... ماذا تقترحين؟!

- جا... دكتور جاسر... لا أريد الذهاب للمدرسة أبدًا...

- ومستقبلك؟

قال الجملة الأخيرة بلا اقتناع... فقد وصل توًّا إلى إقرار منها بعدم تفضيلها الذهاب للمدرسة... هو لم يجبرها على شيء إذن... وأي مستقبل لها مع أب مثل هذا وفي وضعها الحالي؟ متغيبة عن المنزل منذ 4 أيام... إنها مندفعة في طريق ذي اتجاه واحد...

عندما ينتهي من دراسته سيحاول حل كل تلك المعضلات لكن ليس الآن...

ليس الآن...

****

بحث الأب في كل صوب عن منسية...

في المدرسة... لم تذهب...

عند فُتنة... لم ترها منذ أيام...

عند الجارات... لم يرها أحد منذ خرجت آخر مرة إلى المدرسة...

يجلس على الرصيف ويفترش وجهه اللون الأحمر الدامي للغروب...

أتراه ارتاح أخيرًا من متاعب منسية؟

أم تراه بدأ لتوِّه مشاكله الخاصة مع ضمير لحوح لا يهدأ؟

من ذا الذي يترك فلذة كبده غائبة بلا جثة أو عنوان؟

حتى وإن كانت منسية... فكيف عساه أن ينساها...

****

في إحدى الأمسيات ترتدي منسية منامة وردية وتنكمش على الأريكة الفاخرة الوثيرة...

تبتسم...

يحضر لها جاسر حبات الكرز... تأكل...

من أجل عينيه... تريد المزيد...

****

إذ ترمق المقابر المسربلة بالسواد والضوء الفضي يبعث ألف ظل... وألف طائر شؤم...

فكرت فُتنة أنه من الخير لها أن تظل صامتة...

من الخير أن تظل منسية مفقودة...

إنها لا تريد الثرثرة حول ما حدث منها ذلك اليوم...

إن منسية جثة حقيقية... إن ما رأته من جسدها لهو الهول ذاته...

إن ابنة الجيران تيريزا نائمة عندها حتى تعود أمها من زيارة لمريضة قريبة لها...

إنها طفلة...

ما ألذ الأطفال فعلًا!

لن تعرف أبدًا ما حدث لها... لن تستطيع الكلام إن أرادت...

وحين رفعت الغطاء عن جسد تيريزا النائمة، تبخر كل أثر عن ذكرى منسية...

****

فشل الأب مرة ثانية مع تلك المرأة التي دفع لها لتأتي معه لمنزله... لأول مرة منذ أعوام عدة -منذ أن طلبت

خليلة الطلاق بسبب أفعال ابنته– يمس امرأة حقيقية...

لم يجرؤ قط على الإتيان بامرأة مع احتمال أن تراها منسية معه... ولم يستطع الخروج ليلًا وترك منسية وحدها...

كانت الرغبة تحرقه في تلك الأمسيات الطويلة الباردة...

ويحرقه عبء طفلته المريضة المثيرة للرعب...

لكن خلاصه من منسية لم يبعث في نفسه الراحة...

أتراه فشل بسبب قلقه وشعوره بالذنب تجاه طفلته التي هربت من قسوته؟ أم تراها لعنة منسية التي تظلل عالمه في وجودها وغيابها؟

بالتأكيد لم يسمع الكلمات المشينة التي نعتته بها المرأة...

لم يسمع باب الشقة يصفع من دونه... وكأنها لطمة أخيرة على وجهه القاسي...

(٩)

ومع بخار القهوة المتصاعدة من الفنجان على منضدة صغيرة، جلس جاسر وقبالته منسية... يدون ما تقوله على جهاز كومبيوتر محمول...

يسأل وتجيب منسية دون تفكير كما طلب منها...

يعطيها نصف جملة وتكملها هي...

- حين أذهب إلى الفراش...
- أشعر بالوحدة.

يدوّن ما قالته وينظر سريعًا إلى إجاباتها السابقة...

- أنا ولدت في...
- يوم أسود.
- عندما أخرج أول شيء أراه...

- أعين الناس.
- حين أغمض عيني أرى...
- ظلام.
- أكبر شيء في العالم...
- صدر خليلة!
- الأشياء غير المهمة...
- منسية.
- أنا أحب...
- ج...

****

وحين كانت منسية تكسر شيئًا أو تتأخر... أو... أو... يصفعها أبوها مرددًا:

- لقد كان يومًا أسود يوم ولدتك أمك.

ويتناثر اللعاب من فمه على وجهها...

****

ولكن هل كانت فُتنة تعرف أن العلاقات التي تقيمها مع الأطفال شاذة أو خاطئة؟

ربما عرفت هذا حين جربت شم الكُلَّا...

ربما لم تعرف... لأن من يشم الكُلَّا لا يعرف شيئًا على الإطلاق...

****

لم يدع جاسر منسية تطبخ أو تغسل... كان يشتري كل شيء جاهزًا... ويرسل ملابسه للتنظيف الجاف... ولكن في إجازاته كانت منسية تضع ملابسه في البانيو الكبير وتملأه بالصابون وتصنع فقاعات كثيفة...

كان يرى ذلك فيضحك ويتركها تلهو...

يكور الصابون على أرنبة أنفها فتضحك...

ثم تغسل كل شيء... ويرسله هو إلى التنظيف الجاف!

****

لم يكن تدخين الجوزة من عادات سيد... لكن الجوزة التي يمزج دخانها بأشياء أخرى لها مفعول مختلف...

سمع هذا من بعضهم... وتذكر تلك الكلمات بينما امرأة غريبة المنظر تعبر الصالة أمامه وتقف عند غرفة نومه وتشير له...

إن الجوزة لا بد وأن تفعل شيئًا... وإن لم تفعل! فليذهب كل شيء إلى الجحيم...

ويدخل الحجرة...

****

بعد تناول وجبة صغيرة من الفاكهة تجلس منسية في الشمس الدافئة...

تداعب نباتات الظل المتناثرة هنا وهناك... بينما يجلس جاسر مستندًا إلى سور الشرفة والكومبيوتر المحمول على فخذيه...

يردد كلمة واحدة وعلى منسية الإجابة بكلمة واحدة...

– الحياة...

– قبر.

– الأمل...

– الخوف.

– الجنس...

تنظر له وتقطب... وتفرغ معدتها...

فليبدأ من جديد...

(١٠)

– ألم تصل لشيء يا جاسر في حالة منسية هذه.

– ليس بعد... مع كل التدليل الذي تتلقاه... ما يزال شيء ما يجذبها إلى حالة فقدان الشهية... هناك إحساس بعدم الأمان...

– إحساس بأنك ستتركها إذا شفيت، أليس كذلك؟!

– ربما... لكن... بهذا الشكل لن تشفى!

– وبهذا الشكل لن تتركها!

ويرجع د. مرعي في كرسيه الوثير وقد سره تعبير وجه جاسر... تعبير من وقع في الفخ، أو من يدور في دوائر.

****

عند اكتشاف أمر فُتنة مع الأطفال كانت فضيحة لا توصف... فقدت إثرها ثقة الجميع... تتابعها النظرات أينما ذهبت... يتجاهلها أبوها كأنها لا شيء... تمنعه مخافة الله من دفنها حية كما يدفن الموتى...

لكنه تركها تتعفن... تذبل...

وحين ترمق الليل من خلف شباكها... كانت تعلم فُتنة معنى أن جثة تحت الأرض خير من جثة فوقها...

لكن... أين منسية الآن؟!

اعتادت منسية أن تقرع الباب قبل الدخول على جاسر حجرة نومه... لكن اليوم وقبل أن تصل يدها إلى الباب... سمعته يتكلم بصوت خفيض... وبدلًا من أن تمد يدها، ألصقت أذنها بالباب...

– حبيبتي... لا يوجد... أنا فعلًا أشعر...

وكعادتها... دسّت عينها في ثقب الباب...

إن الشتاء قد رحل وبدأ الجو الربيعي المترب الخانق...

كان جاسر جالسًا على السرير بملابس صيفية... جذع عار وبنطال قصير...

كان يتحدث في الهاتف ويبتسم... يستمع... يقهقه... يداعب شعره القصير... يهمس ببضع كلمات حانية...

كان قلبهـا يهتـز... وجسدهـا يهتـز... ومـن عينيها انحدرت دمعتان حارتان... حاقدتان...

ترى من يكلم؟ ومنذ متى كانت هذه العلاقة؟

يتهيأ للنهوض وهو يقبل السماعة ويضعها مكانها... يقف أمام المرآة يتأمل نفسه في ثقة للحظات، ثم يجلس إلى مكتبه ويفتح بعض الكتب الضخمة... يقطب... يهرش عنقه... يضع القلم بين شفتيه...

كل هذا يشعل مشاعرها...

هل تستطيع أن تلمس جبينه المقطب؟ أن تتحسس عنقه؟ تكاد تشعر بأناملها الهشة تجري على عنقه الأسمر والشعر الخشن على ذقنه؟

أيضعها كالقلم بين شفتيه؟ أتشعر بمذاق لعابه والدفء المنبعث من فمه المعطر؟

كل ذلك ملك لأخرى... من هي؟ كيف هي؟ وماذا تريد؟!

هل تأخذ مكانها؟ وهل لها من مكان أصلاً؟

****

وحين انفتح باب غرفة سيد للمرة العاشرة، خرجت

المرأة المتبرجة وهي تسب وتلعن... تطأ الجوزة بقدميها... وتتعثر في المحاقن المشتعلة هنا وهناك...

انغلق باب الشقة تاركًا سيد وحيدًا... لا يدري ما حدث له...

يكون سليمًا تمامًا عندما يكون وحيدًا... إلى أن تلمس يداه امرأة!

إن الحر يجثم على أنفاسه... ومعه تجثم ذكرى أشهر من العذاب والوحدة...

منسية... أين أنت؟

****

عدة أيام مضت على سماعها مكالمة جاسر...

ومن خلال مرآة حجرتها تتبين ما هي حقًا... تقترب من المرآة وتحملق في ذلك الوجه الذي يرمقها من الجهة الأخرى...

ما الذي سيلفت نظر رجل مثل جاسر إليها؟

ولماذا لا ينجذب لأخرى؟

(١١)

في حجرة جاسر كان يرص صورًا مرسومة بخط مهزوز غير محترف... أوراق بيضاء مرسوم عليها بخط منسية... منزل بلا نوافذ... شجرة عارية من الأوراق منعزلة تمامًا عن المنزل... محاطة بسور متهدِّمٍ... وعلى باب المنزل شخص ضئيل منكمش، جالس مضموم الركبتين إلى صدره...

أخذ جاسر ينظر إلى الرسم مرارًا... ثم على شاشة الكومبيوتر يظهر ما كتبه عن نتائج اختبار (HTP) الخاص بمنسية، والذي يسفر عن كره شديد للعلم الخارجي، وانغلاق على النفس، وحالة خجل مرضي من الجسد والعلاقات الجسدية...

ترى أي خبرات جسدية مرت بهذه الفتاة؟ وما معرفتها بالعلاقات الحميمة في هذه السن؟ أحيانًا يكون النضج الجنسي في سن صغيرة، وذلك يعتمد على خبرات الطفل ذاته مع تلك العلاقات... ومنسية في الثالثة عشر، تتفجر داخلها اضطرابات هرمونية ورغبات غير مبررة...

أما ما أثار انتباهه فهو نتيجة اختبار (Rorschach)، والذي يعتمد على ما يراه الفرد في عشر بطاقات مرسوم عليها بطريقة عشوائية بقع من الحبر... 5 بطاقات ملونة و5 سوداء...

والنتيجة المبدئية التي دوَّنها عما رأته منسية أثارت اهتمامه...

أولًا، إن استجاباتها لما تراه من رسوم جاءت بطيئة... كانت تحملق في البطاقة أكثر من اللازم، وكأنها تستدعي خبرات مدفونة عميقًا في نفسها...

ما لاحظه ثانية هو أنها ترى المعنى الذي تراه في الجزء السفلي من الرسم دومًا... ترى سيدات سمينات... سيقانًا غليظة... أوتادًا ومفاتيح...

رموز جنسية محتشدة في كل تصوراتها... والخطر أنها أحيانًا ما ترى رموزًا غير شائعة، وكأن إدراكها الجنسي مشوه بشكل ما...

هناك خبرات غير سوية مرت بها...

كما أنها تشعر بدونية غير طبيعية... تشعر باحتقار للذات... وترى نفسها دون الجميع... بشرًا وأشياءً...

أما في رؤيتها لبقع الحبر كلوحة متكاملة، فدائمًا ما كانت ترى مسوخًا ناقصة... تهاجم تلك المسوخ عندما تتحدث عنها... وعندما يسألها عن السبب، تتكور حول نفسها وتخبره بأن المسوخ تريد الشيء الناقص فيها...

الشيء الذي ينقص المسوخ وتملكه هي؟ أم تقصد أنها هي المسوخ ذاتها؟ وما هي ضالتها إذن؟ لا تجيب منسية أبدًا عن هذا السؤال.

إن استجاباتها تشتت تركيزه عن مرض فقدان الشهية الهستيري، وتدور به في دهاليز الضلالات الشاذة تلك... فلا يستطيع التركيز في شيء...

هاتفه يضيء معلنًا وصول رسالة قصيرة... يمد يدًا ملولة ليفتح الرسالة... رسالة مصورة تمثل قبلة... والمرسل "ريم"... يضغط على زر الرد... ثم يكتب "أحبك"... ثم يضغط زر الإرسال...

ويغلبه النعاس...

في الأيام التالية كان جاسر مشغولًا بشدة في البحث

الذي يعده، بينما كانت منسية تراقبه... تراقب كل شيء في منزله، وكأنها تحفظه...

كانت تتلهف على الإمساك بهاتفه المحمول فقط لتطلع على كم الأسرار الهائل الذي يحمله ذلك الجسم البلاستيكي الصغير...

ابتاع جهاز كومبيوتر منزلي وعلمها استخدام الإنترنت، على أنها حين تنام كانت يفحص المواقع التي زارتها...

لم تكن تستخدم برامج الدردشة أو التعارف؛ فهي لم تكن أبدًا ممن يتكلمون عن أنفسهم...

توقع أن تزور مواقع إباحية، لكنه لم يجد أيًا منها... ولكن...

كانت منسية تحتفظ بكم هائل من الصور... صور قتلى... جثث ممزقة... وحوادث مروِّعة...

عشرات الصور ذات الطابع الدموي المقيت... صور جعلته يرتجف، هو الطبيب الذي رأى مئات الجثث والأشلاء أثناء دراسته...

في تلك الليلة من الشتاء كان يتحدث إلى ريم حتى ساعة متأخرة، ثم خرج إلى الحمام... عبر الصالة وجد شعاع نور فضي يتراقص هناك من الركن... ارتدى منظاره الطبي ليرى أفضل... كانت منسية جالسة أمام الكومبيوتر

في ركن مظلم، يرى حدودها الخارجية لكنه لا يرى ما تفعله...

وعلى الشاشة صورة رجل... جثة ممزقة الذراعين... عارية تمامًا... وكانت الصورة تحتل الشاشة كلها...

عينا منسية الخضراوين تضيئان في الظلام باستمتاع غريب...

اقترب بضع خطوات أكثر ليدرك ما وصل إليه الأمر...

(١٢)

كانت منسية نائمة بفعل المهدئ الذي أعطاه لها جاسر... لقد لمحته ساعتها وهو يقترب أكثر ليرى ما تفعله... فتظاهرت بالإغماء كعادتها... بينما انسل الفأر الأبيض الذي اشتراه لها هاربًا...

لم تنس أن تغطي فخذيها قبل تظاهرها بالإغماء، ذلك الذي جعل تظاهرها غير ذي جدوى بالنسبة له... فوقف أمامها معقود الحاجبين... ماذا يفعل؟ هل يصارحها بأنه رأى ما كانت تفعله أمام هذه الصورة بالذات؟!

أغلق الجهاز بشد القابس مباشرة في عصبية وفتح النور...

— منسية... أعلم أنك واعية... وقد اتفقنا على عدم

تمثيل الإغماء مرة أخرى... الآن... لقد رأيت ما حدث... شعورك لدى مرأى صورة عارية طبيعي... لكن... هذه الصورة بالذات... لا يمكن أن تثير أحدًا... إن ذلك ليس طبيعيًا وليس صحيحًا أبدًا.

لم ترد عليه، وإن لاحظ اضطراب تنفسها ورعشة يديها...

قام وبصوت لا مبالٍ هتف:

– كما تشائين... سأذهب لأنام... وغدًا سأسافر... بما إننا لم نصر أصدقاء بالقدر الكافي... وأنت تخفين عني أشياء... سأغلق الباب من الخارج... وحين أعود بعد يومين سوف نرى ما إذا أمكننا التحدث.

وفي ذهن منسية كانت ذكرى أليمة تومض من بعيد... عن باب مغلق... وعن صراخ أبيها فيها إذ ذهبت مع جاسر وتركته يبحث عنها...

باب مغلق والكثير من البكاء... هو لن يفتح لها ثانية... سيتركها وحدها للأبد.

تبكي بهستيريا... وتتساقط الدموع من وراء جفنيها المغمضين... تنادي جاسر ثم تنخرط في بكاء وكلام لا

رأس له ولا ذيل...

تجـري وتحتضـن خصـر جاسـر... يتنسـم في عصبيـة وحيرة... لا يدري أين يضع يديه...

لا يريد لمسها... لا يريد...

ثم يقرر وضع كفه على رأسها ويبعدها عنه برفق... ثم يجلسها على الأريكة ويحقنها بمهدئ غير قوي...

وحين تراخت أخيرًا وكفت عن النشيج حملها إلى السرير...

والآن ماذا يفعل؟!

إن الاستثارة الجنسية من صور الجثث لعرض نفسي نادر... خاصة لدى المجتمعات العربية...

ولكن...

إن حالة منسية لهي نسيج معقد من الانحرافات الجنسية واختلال الإدراك وفقدان الشهية الهستيري... وما خفي كان أعظم...

إنه لا يركز تقريبًا في أبحاثه... لا يستطيع الإمساك بخيط واحد يبدأ به... يشعر باضطراب بالغ... إذ قارب ميعاد تسليم بحثه والمشرف على دراساته لا يرى منه أي تقدم...

هل يلجأ إلى طبيب آخر ليساعده في شفائها... أو الخلاص منها؟! لكنه ليس بصدد شفائها الآن، إنه بصدد تأجيل مستقبله بالكامل... تأجيل ارتباطه بريم التي وعدها بالخطبة بعد انتهائه من الرسالة مباشرة...

لم ينم طيلة الليل، وفي الصباح مد يده إلى محموله وطلب ريم...

وفي تلك الغرزة كان سيد يهلوس بشيء ما عن منسية وعن تلكم النساء البذيئات...

يتحدث فيرد عليه الآخر بعد ربع ساعة... كأنها مباراة شطرنج عبر البريد... ذلك حين سمعا ضربات عنيفة على الباب... ذلك حين رأوا الحذاء الحكومي الغليظ يهوي على ظهريهما...

يُحملان من ياقاتهما إلى سيارة الشرطة أسفل المبنى... مشيعان بلعنات الجيران الذين أبلغوا عنهم...

السارينة تعوي والإضاءة الحمراء تدور ككرات النار فوق الرؤوس... وتختلط الأصوات بصوت منسية الصغيرة تضحك... ثم يضحك سيد ومن معه في خبال...

— فينك يا منسية... هاهاها!!!!

(١٣)

دق الجرس في منزل جاسر فقام متلهفًا... فتح الباب ليجد ريم وعلى وجهها الذعر من مكالمته الصباحية...

أشار لها أن تدخل ففعلت في تردد وهي تتلفت حولها... ثم جلست هناك على طرف الكرسي...

– جاسر... ماذا حدث؟

جلس أمامها ثم بدأ يحكي...

كانت ريم طبيبة تصغره بعام... لها عقل راجح يثق به والأهم أن بها حنان غريب يغمره حتى النخاع...

لم يكن يريد سماع رأيها في حالة منسية، فقط كان يريد من يشاركه الحمل الثقيل... الآن فقط يدرك ما وضع نفسه

فيه... إن عقله يكاد يتمزق ما بين طردها وبين الذهاب بها إلى طبيب أكثر تخصصًا... كلاهما يعني ضياع مستقبله وانكشاف أمره باحتجاز فتاة أكثر من عام...

إحساس مقيت بفقده كل شيء... حتى فتاته لا يجرؤ على إخبارها بضرورة تأجيل ارتباطهما لرعونته واختياراته الخاطئة.

كانت ريم تشعر بكل فكرة تجوب عقله، وبلا تفكير قامت واحتوت رأسه بين ذراعيها... فبكى كطفل تائه... شعوره بحنانها جعله يبكي أكثر فأكثر...

وفي آخر الرواق كانت منسية ترمقهما في غضب وغيرة... كانت تحك قدمها في الأرض في عصبية وتتنفس بصوت عال...

وحين اقترب الفأر الصغير من ساقها وبدأ يتشممها دفعته في غل وأغلقت عليها الباب بعنف، جعل جاسر يلتفت إلى مصدر الصوت، ثم نظر إلى ريم التي بدت غير مدركة لما يحدث...

ترك جاسر ريم وحاول فتح باب حجرة منسية... إنه مغلق من الداخل... أخذ يدفع الباب بكتفه وقد غدا لا يستطع عليها صبرًا...

ربما لم تفعل منسية ما يحتمل كل هذا الغضب حتى

الآن، لكن عقله قد انغلق تمامًا...

ربما لأنها أحبته... ربما لأنها تلقَّت من التجاهل في حياتها ما جعلها تطأ أرض الجنون في هذه السن... ربما لأسباب أكثر صارت ما هي عليه... لكنها لم تفعل شيئًا بإرادتها...

ربما تكون هي الطبيعية ومن حولها هم الجنون والأنانية، ولكن حين تغدو الحقيقة معكوسة يصير فهم الحقيقة مستحيلًا...

ركضت ريم خلفه محاولة تهدئته وإقناعه بترك منسية حتى تهدأ... اصطحبته بهدوء مطوقة خصره بذراعها، وأخذت تربت على ظهره وهما واقفان على الدرجتين الرخاميتين المؤديتان إلى الصالة وتهمس له حتى بدأ يبتسم في إنهاك...

ومن آخر الممر كان الباب يُفتح بهدوء... رأس منسية يبرز وعيناها تتسعان في جنون... كل عضلاتها الضامرة متحفزة إذ تخرج منسية حاملة أباجورة صغيرة معدنية وتتسلل نحوهما...

ترى شعر ريم الكثيف الناعم المعقوص على هيئة ذيل حصان يتدلى حتى خصرها... ردفيها ممتلئين في تناسق مع قامتها الطويلة...

تجر منسية الأباجورة جرًا وهي تتنفس بسرعة... تقف خلفهما تقريبًا وقد بدءا نزول السلمتين فأصبح رأس ريم في مستوى ذراع منسية المرفوعة بحملها المعدني...

ترفع الأباجورة الثقيلة وهي تبكي ولا تكاد ترى أمامها... وبأعنف ما استطاعت تدعها تهوي ناحية رأس ريم التي استدارت ببطء إذ شعرت بمنسية خلفها...

تصطدم الأباجورة بكتف جاسر بدلًا من رأس ريم بينما تسقط منسية على الأرض على ركبتيها...

وتصرخ ريم...

التفت جاسر غير مدرك ما حدث... نظر إلى الأباجورة الملقاة على الأرض ثم إلى ريم المختبئة رأسها في صدره... ثم إلى منسية... منسية التي رفعت عينيها نحو ريم في كراهية مرددة بصوت كالفحيح...

– أنتِ... أنت...

لم يدر جاسر ماذا يفعل... لقد أصبحت وحشًا كاسرًا... لقد أعمتها الكراهية والغيرة إلى حد القتل... وبلا كلام اندفع جاسر إلى حجرتها وجمع ملابسها في حقيبتها المدرسية المغبرة، ثم التقط منسية من على الأرض وسط تساؤلات ريم...

جر منسية وساقيها تضربان درجات السلم بلا هوادة،

بينما تثبت منسية ناظريها على وجه ريم وكأن ما يحدث لا يحدث لها...

في البداية كان جسد منسية مرتخ تمامًا، ثم فجأة تشنج... مما أربك جاسر... فأفلتت من يده واندفعت كالرصاصة باتجاه ريم التي جمدها ذلك الهجوم المفاجئ...

كانت منسية تصرخ بصوت رفيع محطم للأعصاب وهي متشبثة بشعر ريم... وتتأرجح بجسدها كاملًا كأنها تحاول انتزاع رأس ريم نفسه...

احمر وجه جاسر وتكورت عضلاته، فانتزعها بضربة واحدة من فوق ريم وصفعها حتى انفجرت الدماء من أسنانها...

حمل منسية من خصرها وهي تضرب وتخمش وتتمسك بالجدران فتترك عليها بصمات أصابعها الدامية الرفيعة...

ألقى بها على أريكة السيارة بعد أن اضطر إلى تكميم فمها أثناء هبوطهما السلم... أخرج ما تبقى من عنف في قيادة السيارة، وفي عقله تتسابق ذكريات عن طفلة ملأت حياته يومًا، ثم كادت أن تنهيها.

وحين وصلا إلى بيتها القديم كانت قد فقدت الوعي

تمامًا... لقد سئم تلك الحيل... سئم التمارض والجنون...

حملها وحمل معها حقيبتها في الشارع الخالي في ذلك الوقت المبكر، وصعد بها إلى باب شقتها... وضعها أمام الباب ونزل...

نزل ثلاث درجات ثم توقف...

تحرك شيء بداخله...

صارع التراجع...

لا بد أن يتخلص منها وليحدث ما يحدث...

لقد أربكت حياته وقلبتها رأسًا على عقب...

وحين انطلق بالسيارة لم يكن يعلم أين يذهب، ولا حتى يذكر أنه ترك ريم وحيدة في شقته... لم يكن يفكر في شيء...

ترى أين الصواب؟ أين البريء وأين المذنب؟

ربما لم يكن بتلك الأنانية أو القسوة... لقد سئم كل شيء وأصبح عاجزًا عن مد يد المساعدة لتلك المخلوقة...

لقد كان خاله الدكتور مرعي صائبًا... لقد وقع في المصيدة... وحتى إن خرج منها فلسوف تظل آثارها واضحة خالدة في أعماق روحه للأبد...

نيكروفيليا

البرد يتسرب إلى عظامي...
يغمر أعماقها... يفوق آلامي...
يفوق الجحيم الموقد تحت قلبي...
ينز الصديد والكره والذكريات...
تسقط في النيران أيامًا مرت كساعات...
كحلم صبي غفا فوق أطلال الحكايات...
كحلم صبي لم أره يومًا...
وهل لمثلي نصيب في مائدة الأمنيات؟!

في بكور الصباح أحاول التسلل إلى منزلي...
أو الذي اعتدت أن يكون منزلي...
ألقي داخل نافذته بحقيبتي... وألقي خارج نافذته بأحلامي...
ووعود الغد المحترقة... وأشلاء ولهي واشتياقي...
وبقايا رغبات مثارة...
ليدفنوا معي تحتِ شاهد كتب عليه

أحلام محرَّمة

تطوءه الأقدام...

ويدنسه طين الطهر والعفاف...

وقيم بالية يشقى بها الآلاف...

وراء حقيبتي...

وراء نافذة منزلي...

أو الذي اعتدت أن يكون منزلي...

ألقي بجسدي الواهن المحمل بالشجون...

والطعنات...

واللكمات والهمسات...
وما يسميه الناس "مجونًا"...
وتحت جلدي الرقيق...
المتخم باللذة والكآبة والكبت...
فقط كنت أراك أنت... والجنون...
ورائحة عطرك المثيرة تغالب رائحة العطن...
ورائحة القِدم في مطبخ داري...
وجلدك المَشدود الأسمر...
وسالفاك الطويلان... وذقنك المشقوق...
وشفتاك الناضجتان كحبتي برقوق...
أفترشهما وسادةً ولحافًا...
ولكن زمن صدرك العريض ولّى...
وانسلخ من صوتك الرجولي... صمت قدري...
صمت جُلْتُ فيه بعيني الخضراوين...
وحدة سمعتها بأذني...
وقشعريرة سرت من جذور شعري حتى قدمي...

أسحب خلقي حقيبتي...
تتساقط منها أوراق وأقلام وهموم ودموع...

وتلامس قدماي الحافيتان بساط منزلي...

أو الذي اعتدت أن يكون منزلي...

وحنين يمزقني إلى ملمس خفيك في قدمي...

وملمس منشفتك على خدي...

ولمسة أصبعك على أرنبة أنفي...

وتمزيق صفعاتك لكرامتي... لآدميتي...

وألقي بنفسي على الأريكة ذات الورود...

آاااااه من الذكرى...

لقد ذهب الجميع عني...

تاركين البرد والوحدة والخوف...

كما اعتادوا أن يتركوا لي منزلي...

أو الذي اعتدت أن يكون منزلي...

نفس اعتيادي على أن أكون وحيدة...

منسية...

(1)

ثلاثة أعوام مرت منذ أن ألقت منسية نفسها من شباك المطبخ إلى داخل منزلها...

من يوم طردها جاسر...

يوم تلقت صفعة أعادتها إلى ما اعتادته من تجاهل وكره واشمئزاز...

الآن فقط أيقنت أن لا أحد يريدها... وعليها ألا تريد أحدًا...

ما زال المكان على قذارته منذ ثلاثة أعوام... ما زالت الجوزة ملقاة والمحاقن تشي بما آل إليه حال أبيها...

لم تعرف ما حل به أو أين ذهب... وهل اهتم هو أين ذهبت؟!

لو بحث بحق... لو كان يريدها بحق... لكنها كانت بالنسبة له حملًا ثقيلًا وها قد تخلص منها، وعليه الآن أن يُعنى بنفسه كما لا بد أن تُعنى هي بنفسها...

ثلاثة أعوام تدخل وتخرج من نافذة المطبخ... لا تضيء الأنوار التي انقطعت من تلقاء نفسها بعد فترة... لا تفعل شيئًا إلا ما يفعله الجثث...

تخرج فجرًا كل عدة أسابيع... تشتري بعض البرتقال بالنقود التي وجدتها في خزانة ملابس أبيها... كانت تكفيها طويلًا... فهي لا تأكل ولا تدفع فواتير...

اعتادت حياة الظلام... اعتادت حياة الأوهام... تمضي يومها نائمة، وحين تستيقظ... تقبِّل جاسر... توقظه من نومه... تحضر له طعامًا وهميًّا وتأكله هي...

تتشاجر معه... وتبكي على صوره التي سرقتها من درجه يومًا... تقبِّل كل جزء فيه... وتمزقه بالسكين... ثم تلقي بنفسها على الأريكة منهكة... وتدرك أن هذا كله وهم فتبكي وتنام...

ثلاث أعوام مرت بين نوم ووهم... لا أحد يعرف بعودتها... ولا تعرف هي شيئًا عن أحد...

في خزانة أبيها وجدت بعض المشغولات الذهبية.. سلسلة أمها ودلاية صغيرة... لقد أوشكت أموالها على

النفاد، فكيف وأين تبيع تلك المشغولات وهي بهذا المنظر المريب؟

هل تطلب مساعدة أحد؟ ومن يكون؟!

ماذا تفعل الآن؟!

****

ثلاثة أعوام مرت على جاسر وهو لم يتزوج ريم بعد... مشاكل مع أهلها بسبب الخطبة التي طالت...

لم يحصل على الماجستير... حالة غريبة انتابته منذ رحلت منسية... كل أوراقه تذكرة بها... كل ركن في منزله...

منذ عدة أشهر ذهب لمنزلها وطرق الباب... لم يتلقَّ ردًّا... أخبره الجيران أن لا أحد يسكن هذه الشقة منذ ألقي القبض على صاحبها منذ سنوات ثلاث...

لقد توفي سيد في محبسه... ولم يظهر أحد من ذويه...

وتمزق الأفكار وعذاب الضمير روح جاسر... أين ذهبت يومها إذن؟ استطالت لحيته وزاغت عيناه... أحرق من التبغ ما لم يحرقه طيلة حياته دون جدوى...

لا تفارقه كوابيس يرى فيها منسية ميتة بعدة أشكال

مختلفة وكلها في الشارع... سأل عنها في المستشفيات ودور الرعاية...

لقد اختفت تمامًا، واختفى معها شعوره بالثقة في نفسه...

هنا يسمع صوتها الخفيض... هناك يرى طرف ثوبها المنزلي الزاحف على الأرض...

لقد فقد توازنه النفسي...

هل منسية فعلًا لعنة على من عرفها؟ أم وجودها ذاته هو سبب لدرء اللعنة عنهم حتى ترحل؟

لن يعرف أبدًا...

(٢)

في صباح ذلك اليوم ارتدت منسية عباءة أمها السوداء وغطاء الرأس اللذين وجدتهما في صندوق أسفل سرير أبيها، وسارت راجفة تعبر المقابر في ذات الطريق الذي هربت منه يومًا.

مدت يدها للباب الباهت المميز للمدفن الذي تسكنه فُتنة وطرقت الباب...

لحظات ثقبت جسدها فيها عشرات النظرات المتسائلة عن كنه الغريبة التي تطرق باب الفاجرة ابنة الحانوتي...

من داخل المدفن سمعت صوتًا ناعسًا متحشرجًا يسب ويسأل من بالباب أن يرحل...

واصلت منسية طرق الباب أكثر... ثم تجرأت ونادت فُتنة...

هنا انفتح الباب عن وجه حال لونه واسودَّ ما حول عينيه وانحنت قامته... تضيق فُتنة عينيها كمن لم يعتد الشمس...

أزاحت منسية غطاء الرأس عنها فاتسعت عينا فُتنة عن آخرهما...

– منسية!

– هل أستطيع الدخول؟

تراجعت فُتنة عن مدخل المدفن وعيناها لا تفارقان وجه منسية... رائحة عضوية خانقة تملأ المكان، والنوافذ مغلقة، وشيء قماشي أبيض ملقى على الأريكة...

تجلس منسية جلستها منذ أربع سنوات...

– لم يتغير فيك شيء يا منسية... كأنما تركتِني البارحة...

– الأماكن لا تتغير... من فيها فقط يتغيرون...

– ماذا حدث؟ احكِ لي...

لم تتكلم منسية... جلست فُتنة على الأريكة المقابلة تحيك شيئًا ما وتحكي... عن وحدتها تحكي... عن احتقار الناس لها...

تبرر أفعالها ثم تعود فتنكرها من الأساس...

لا يتحدث أبوها معها أبدًا... يخرج صباحًا... وحين يعود ينزوي في الركن يقرأ القرآن حتى ينام مكانه...

تتحدث وتشهق كأنما تمنع المخاط من أن يسيل من أنفها...

تسمع منسية مطرقة إلى الأرض... لا تعلم إن كانت سامحتها أم لا... إن كانت تشفق عليها أم لا...

إن وقاحة فُتنة معها منذ أربع سنوات هي ما جعلتها تعيش أجمل أيام حياتها مع جاسر... هو ما جعلها تُصدم وتُصفع وتُهان...

ربما لا ذنب لها في شيء... ربما تكون مذنبة برغم كل شيء...

وبدون مقدمات قطعت فُتنة كلامها قائلة:

– منسية... أنا أحتاج إليك...

– وأنا... أحتاج إليك...

****

لم تكن منسية قادرة على حب أحد سوى جاسر.. لم تستطع غفران ما فعلته فُتنة معها كلية، لكنها كانت

تحتاجها... مضطرة للتعامل معها كما تضطر إلى التعامل مع ثعبان لاستخراج الترياق من بين أنيابه...

كانت تحتاج لشخص له مظهر عادي غير ملفت يستطيع الحركة بسهولة ويستطيع تولي شؤونها الخارجية...

تريد بيع قطع الذهب لتنفق على نفسها... وعندما تنتهي نقود الذهب، ستجد مخرجًا آخر... لكن لتدع العجلة تدور وتترك كل شيء لأوانه...

ذهبت مع فُتنة للصائغ ووقفت على الباب ريثما تبيع فُتنة الذهب مقابل نسبة طبعًا! ذهبت معها لأنها لا تثق في أحد... وفي فُتنة بالذات...

بضع دقائق وخرجت فُتنة مبتسمة وفي يدها أوراق نقدية... اختطفتها منسية من يدها وأخذت تعدها...

- فقط هذا؟!

- وهل سأسرقك؟! إن الرجل يعلم أن المشغولات لا بد مسروقة، وبالتالي لم أستطع مناقشته في السعر... إن كنتِ تريدين فادخلي أنت وناقشيه... لن أغامر مرة أخرى... لم يرونا ونحن نسرق ويروننا ونحن نتقاسم! ثم إن المبلغ لا بأس به... هه؟

وضعت منسية المبلغ في جيبها وأعطت فُتنة عشرين جنيهًا... نظرت فُتنة للمبلغ حينًا ولم تعلق... دسته في صدرها...

ثم عادا إلى المقابر واستبدلا ملابسهما... وبينما تزدرد فُتنة الطعام الذي اشترته في جشع سرحت منسية بنظرها إلى خارج النافذة...

هل ترحل الآن ولا تعود ثانية؟ إنها ستحتاج إلى فُتنة حتمًا مرة ثانية... ترى... ماذا يفعل جاسر الآن؟ من المؤكد أنه تزوج تلك الفتاة وفازت هي بكل شيء...

ربما لن يغدو ملكها أبدًا...

إنها جثة متحركة... بينما هو الحياة ذاتها بجمالها وبهائها...

بقسوتها...

كانت فُتنة تتكلم... فلم تسمع منسية إلا سؤالها الأخير...

– هل تودين المشاهدة؟

– مشاهدة ماذا؟

– أين كنت؟! أقول إن أبي يقوم بتغسيل ميت "مقطوع من شجرة" -كما يقولون... يقوم أبي على غسله متحدثًا عن الثواب وما إلى ذلك... ربما يساعده منصور... أحيانًا أتلصص عليه من فرجة الباب أو من خصاص النافذة من الخارج... النافذة التي تطل

على الخرابة... تعرفينها...

ثم قامت ومسحت يديها في جلبابها وأخذت تحيك ما كانت تحيكه وأردفت:

– إنها فرصتي الأخيرة لرؤية أناس لا يسددون نظرات محتقرة لي... أناس لا يخفون تحت ثيابهم الحقد والحسد وقذف الآخرين بالحجارة...

لمعت عينا منسية ببريق مريب... ثم ابتسمت...

– هل أستطيع المشاهدة إذن؟!

****

حين كف الهاتف المحمول عن الرنين أمسكه جاسر وأغلقه تمامًا...

إن ريم لا تكف عن الاتصال به... لكنه لا يريد الحديث مع أحد... يكره إخبارها بأعذار غير مقنعة... يكره عجزه عن الحياة دون الشعور بالذنب... ريم تحبه بجنون... لا تريد شيئًا سوى الحديث معه... سماع صوته... لكنه يشعر أنه جبان حقير... ربما يتخلى عنها عند أول ضائقة مثلما فعل مع منسية...

لم يعد يثق في صورته عن نفسه كشاب ناجح يملك

مفاتيح السعادة... لم يعد هو هو... كيف لم يدرك من قبل أنه بهذه القسوة وتلك الأنانية؟ كيف خدع نفسه؟

الآن يهاب أن يقترب من أحد... أن يحبه أحد...

ما زال يعمل في المستشفى... وما زال غير قادر على مواجهة مريض... يرى منسية في عينيه... بؤسها وشقاءها... وتعلقها ببراءة بالمجهول...

لقد اقترب منها خلال تلك السنة... صارت روحه منسوجة بروحها... لا يستطيع انتزاع أيًا منهما دون تمزيق الأخرى...

لا تستطيع الإبقاء عليها بداخلك دون أن تصاب بالجنون...

(٣)

جسد مسجى... وغطاء باهت...

وماء معطر منثور...

وحبات عرق على جبيني...

تروي شوقي المحموم...

تنهي في جموح...

رغبات جسد محروم...

مهموم... مكلوم...

أيا شعر فاحم يداعب خدي...

يسيل سواده على عنقي...

على جسدي...

وبرودة الموتى تسيل النار من أظفاري...
من أفكاري...
من فراشي المهجور...
لا تفتح عينيك المغمضتين...
لا تلف حولي ذراعيك المتخشبتين.
الزرقاوين...
لا تثور ولا تجمح...
لا تجذبني إليك...
فأنا أعشق استسلامك...
أعشق غفوتك الأبدية...
أعشق عجزك عن دفعي عنك...
على كرهي... على احتقاري...
أكرهك وأعشقك...
ويدفعني وهن جسدك على الجنون...
لكنك... لا تملك عينيه...
ولا غمازتيه...
لكنه... لا يقبل بي...
وأنت... أنت تقبل بي...

مرغم... تقبل بي...

تقبل بقبلات كوخز الإبر...

تقبل بلمسات شائهة...

وأحاسيس شاذة...

وقلب جاف كخريف أوراق الشجر...

دعني أزيل عنك السواتر والأحجبة...

دعني...

****

شهقت فُتنة إذ رأت ما حدث في الحجرة بعد ما بحثت عن منسية دون جدوى في كل مكان... لتلمحها صدفة عبر خصاص النافذة...

- ماذا تفعلين؟! كيف دخلتِ والخصاص مغلق من الداخل؟!

غطت منسية الجثة كما كانت وهبطت من فوق المنضدة جاذبة ثوبها إلى أسفل، ثم انحنت ملتقطة مطواة صغيرة من على الأرض...

- مطواتك... فتحت بها النافذة عبر الشق...

أمسكت فُتنة السكين غير فاهمة، بينما خرجت منسية

كأن شيئًا لم يكن...

أفاقت فُتنة من ذهولها سريعًا، وتأكدت أن كل شيء في الحجرة في مكانه، وهرعت لتجري وراء منسية ممسكة بذراعها...

– منسية... إن ما تفعلينه... أعني... أنا فقط أشاهد من بعيد... من تحت الأغطية... فهم لا يرفعونها أثناء الغسل... إن هذا مثير أعرف... لكنني لا أجرؤ على الاقتراب... و...

– كلٌّ له أحاسيسه...

قالتها منسية ومدت لفُتنة يدها بخمسة جنيهات...

تعلم منسية أن فُتنة تتعاطى شيئًا، وهو ما يجعلها غير موزونة معظم الوقت... وهي حتمًا تحتاج المال لشرائه... إن المبلغ ليس كبيرًا... لكن فُتنة ستقبله وتغلق فمها... إنهما متماثلتان... وكلتاهما لا ترفع وجهها إلا أمام الأخرى...

دست فُتنة النقود في صدرها ثم عادت إلى أريكتها تحيك وتمسح أنفها من آن لآخر... وعلى الأريكة المقابلة تمددت منسية شاعرة بنشوة قوية واكتفاء لا يوصف...

هنا... برقت الفكرة في عقل كل منهما في نفس اللحظة...

****

فتاتان شاحبتان مسربلتان بالسواد...

تقتربان من أحد حراس المدافن... تتقدم نحوه الفتاة الضخمة وهي تهمس متلفته حولها...

- السلام عليكم يا حاج... أحتاج مساعدتك...

ثم تمد يدها وتقرّب منسية...

- معي ابنة خالتي هنا... ترى كم هي هزيلة... إن أخت زوجها صنعت لها عملًا مدفونًا في فم ميت والعياذ بالله...

يحوقل الرجل ويتصعب... فتمد فُتنة يدها إلى صدرها مخرجة بعض الأوراق المالية...

- ونحن نريد منك أن تفتح لنا قبر رجل مات حديثًا حتى نستطيع أن ندس العمل المضاد في القبر... لا بد أن نساعد المسكينة حتى لا تظل تفقد وزنها هكذا... إنها تموت...

مصمص الرجل شفتيه في حسرة، وبدا عليه أنه اعتاد تلك الطلبات، وكانت فُتنة تعلم ذلك من أبيها... حمل الرجل كشافًا كهربيًا واقتادهما وهو يدعو على أولاد الحرام...

نادى فتى آخر وتعاونا في فتح قبر رجل دفن صباحًا... وبعد نصف ساعة أشار للفتاتين بأن تدخلا، لكن عليهما

ألا تتأخرا بالداخل؛ لأن هذا خطر عليه...

على الأرضية المنداة كان يرقد هناك... جسد كبير الحجم مغطى بأكفان بيضاء نظيفة... ابتسمت فُتنة لمنسية ابتسامة خبيثة وولَّتها ظهرها مراقبة المدخل...

وإلى أنف منسية تسربت رائحة مقيتة مشؤومة... لكنها راحت تفك الأكفان بسرعة... وأخيرًا أظهرت ما كانت تبحث عنه...

****

مرة...

مرتان...

ثلاث مرات... أو أكثر...

كل شيء صار متشابهًا... لم أعد أتذكَّر...

ذات الوجوه الشاحبة...

نفس الوجوه الباهتة...

عين الصورة التي أراها في مرآتي...

تلك النشوة المجنونة...

تدفعني دفعًا للمزيد...

تمزقني... تلهيني...

تميتني وتحييني في مزيج فريد...

تطبق فُتنة على نقودي...

وتطبق نقودي على عنقها... كطوق كلب من حديد...

فتاتان... ممسوختان...

مقيدتان إلى وتد مشتعل...

تفران منه إليه...

تلوذان بأحضانه من الثلوج والوحدة...

ثم تعود كل إلى عالمها...

إلى عزلتها... بقيودها الملتهبة...

مربوطتان إلى مصير واحد...

لم أعد أذكر عددهم...

ثلاثة... اثنان... أم واحد...

فقط... أعرف أن الألم واحد...

والشحوب واحد...

واللذة... واحدة...

وفي منتهى لذتي... أجده واقفًا...

ساخرًا...

وكأنه يعلم بأنه لم يغدُ في رغبتي...

إلا رجل واحد...

****

بضعة أشهر أخرى ثم نفدت نقود منسية... لم تعد فُتنة ترحب بوجودها... هكذا صارحتها وهي تحيك شيئًا ما...

وفي عقل منسية كانت هناك فكرة مجنونة تراودها... لقد سئمت جثث الرجال الذين ضاجعتهم... فقدت المتعة فيهم... فقط متعة لحظية ثم تمر الليلة بعدها كحلم طويل بجاسر... إنها تحتاج لفُتنة مرة واحدة وأخيرة... وعليها أن تقرر بعدها مصيرها وحدها...

(٤)

يشير عقرب الساعات إلى الثالثة صباحًا...

يغمض جاسر عينيه ويتدثر بالغطاء ويغوص في الأحلام مرة أخرى...

مربوط إلى صاري سفينة... تتكاثف فوقه السحب الرمادية المشربة بالحمرة...

كان نائمًا أو مغشيًّا عليه... لكن أيقظته أول قطرة أمطار سالت على أنفه... فتح عينيه في ذعر... لا يستطيع أن يحرك أي جزء آخر من أجزاء جسده... ومن حوله يتصايح البحارة عن كونه مات ولا بد من إلقائه في البحر...

سكين تمزق الحبال فيسقط منكفئًا على وجهه بلا حراك...

يريد الصراخ بهم أنه حي... قدمان حافيتان بارزتي الأوتار تقفان أمام عينيه... ينجذب لأعلى... ناحية وجه... وجه منسية...

لا يدري من أين جاءت بهذه القوة كي تقلبه على ظهره، وبالسكين تقطع صدره طوليًا إلى أسفل... إلى أسفل...

وتلعق السكين...

تقبله وفمها مفعم بدمائه هو...

تنساب الدماء داخل بلعومه... صدئة الطعم... يسعل أخيرًا...

ويفتح عينيه...

الثالثة ودقيقتين...

إنه حلم غريب... كابوس... إنه لم يحلم بمنسية هكذا من قبل... هناك شيء ما في قلبه ينذره بالخطر... لكن... خطر من أي نوع؟

****

في حجرة منسية بمنزلها...

ما زالت ترمق الأشجار الجافة والضوء الفضي... تتدثر أكثر في شالها وتعود إلى السرير... تنظر إلى الأدوية التي

كانت تتعاطاها أيام كانت مع جاسر...

تتلمس خاتمها الصدئ وطرف ثوبها الأبيض واسع الصدر...

حلم غريب هو ما أيقظها...

كان جاسر في فراشها... لكنه لم يكن ينبض بالحياة كما اعتادت أن تحلم به... بشرته تتجعد ببطء... وبخار أبيض يتصاعد منها... كانت تدرك أنه مات أخيرًا... لكنه لم يظل كما هو... لم يظل جاسر الذي تمنته...

أخذت تتذكر أحداث الماضي كي تشجع نفسها على إتمام ما انتوته... كانت الساعة الثالثة صباحًا... ثلاث ساعات أخرى وتذهب إلى فُتنة... حاملة حقيبتها المدرسية التي جمعت فيها كل ما يمت لحياتها بصلة... وكأنها تغادر المنزل ولن تعود إليه أبدًا...

****

السابعة صباحًا...

فرغ جاسر من التهام نصف شطيرته حين دق جرس الباب... قام جاسر وفتح الباب متثاقلاً شبه مغمض...

كان ما رآه هو ما يحلم به... ويخافه... ويهرب منه...

كانت منسية بشحمها ولحمها القليلين...

- دكتور جاسر...

صوتها مبحوح متهدج... وثمة شيء ما ماكر في نبرته...

- هل تسمح لي بأن أدخل... أحتاج إليك...

وكانت كلمة "أحتاج إليك" هي كلمة السر لزلزلة كيانه... هل سيتخلى عنها ثانية؟! لقد جاءت أخيرًا اللحظة التي يستطيع فيها إصلاح ما أفسده... وإعادة احترامه لنفسه...

- طبعًا ادخلي يا منسية... ادخلي...

أدركت منسية أنه لم يتزوج... إهمال واضح في مسكنه وملبسه... والظلام والكآبة يغلفان كل شيء... حين خطت إلى الداخل متحاشية النظر إلى درجتي السلم...

- دكتور جاسر، أنا آسفة على كل ما بدر مني... لقد كبرت وكل شيء تغير... أنا فقط راغبة في العلاج والعيش كفتاة طبيعية... لكن... لكني لا أملك أموالًا أنفقها على علاج عند طبيب آخر...

ثم صمتت قليلًا وثبتت عينيها في عينيه هامسة:

- ليس لي أحد غيرك...

كانت رأس جاسر تطن... كان يريد فعل أي شيء كي يكفر عما فعله معها... كي يعود له جاسر المفعم بالحياة مرة أخرى...

– أين كنت يا منسية؟

– كنت... كنت عند جارة لنا في أول الشارع... ثم أخذني عمي عنده...

– آه... هل كان يعاملك معاملة حسنة؟

لم ترد منسية وهزت رأسها... ربما نعم وربما لا... لكن جاسر قد كوَّن قناعته الخاصة... إن منسية كانت تُهان وتُضرب كل هذه الفترة... يجلد نفسه على تسببه لها في كل هذا... إن العلاج هو كل ما تبغي... وسيعالجها بنفسه وإن اقتضى هذا عمره كله... لن يتركها أبدًا... أبدًا.

****

سبعة أيام... تركها تكتب ما يخطر في بالها بحرية تامة... ترسم... تأكل إن شاءت...

سبعه أيام من المراقبة المستمرة... كانت تفرغ ما بداخلها... وكانت تنام على الأريكة بينما يمضي ليله في القراءة وتعلُّم أساليب العلاج... لكن شيئًا ما لا يريحه في نظرات عينيها... كأنه جنون أو مكر أو... لا... لن يترك

نفسه لتلك الشكوك... إن منسية هي منسية ولا بد من علاجها...

عندما كان يترك منسية في الصالة وحدها، كانت تتفحص المكان بعناية... النوافذ والأبواب، خلف المقاعد... سبعة أيام كانت كافية تمامًا لتصل منسية إلى خطة...

****

فُتنة لا تملك أي نقود... لكن أملًا ما كان يداعب خيالها منذ أفصحت لها منسية منذ أسبوع عما تنوي عمله... لقد انتهت من الحياكة اليوم... تخلع ملابسها أمام المرآة الكبيرة المشروخة طوليًا... تفرد ذلك الرداء الأبيض وتلف به نفسها...

ترمق نفسها في إعجاب وجنون... إنه كفن... كفن أبيض ظلت تحيكه طوال أربعه أعوام... تحيكه ثم تفكه مرة أخرى وتعاود حياكته... فقط لتجد شيئًا تفعله في اليوم التالي...

هاهاها... إن الجثث تحت الأرض قد نالها عبث الجثث التي فوق الأرض... جثث ترتدي العباءات... فما الضير في أن يتبادلا الملابس قليلًا؟

- أهي كلها جثث ربنا... هاهاهاها!!!!!...

وتتسلل في بطء إلى الركن الذي يجلس فيه أبوها... لا يتحرك منذ فترة... على فخذيه المصحف مفتوح وعيناه مفتوحتان... لا تطرفان... لا يهم... ليست كل الجثث تتحرك... فتحت الكفن ولفت نفسها وأباها معًا وراحت تنشج...

الآن لقد انتهى كل شيء... انتهى كل ارتباط لها بالعالم... مستعدة هي الآن لفعل أي شيء... لا أحد يحاسب الموتى... وهي الآن في عدادهم...

الساعة السابعة مساءً... ارتدت ملابسها وأخفت الشاطور الكبير في ثنايا الكفن... إنه الموعد إذن...

****

الثامنة مساء... ما زالت منسية جالسة تتبادل الحديث مع جاسر وهو يدون ما تقول...

أخذت منسية تسعل، وطلبت من جاسر كوب ماء وهي تشهق وتتشبث بالكرسي كأنما تختنق...

قام جاسر وذهب إلى المطبخ متعجلًا... فهتفت من بين سعالها بأنها راغبة في أي شراب دافئ إن سمح لها...

نظرت مــن النافذة وهي تسعل لترى فُتنــة... فأشارت

إليهـا وهرعـت إلى البـاب تفتحـه في بـطء وهـي تفتعل السعال افتعالًا... دخلـت فُتنة في حرص واختبأت خلف الأريكة...

دقائق وجاء جاسر باليانسون... رشفته في اضطراب ورعشة يدها تنثر الشراب على ملابسها... اعتذرت له واستأذنت لأنها تشعر بتوعك شديد... شارفت على هبوط السلم فالتقت عيناهما...

– منسية... احتفظي بنفسك سالمة... من أجلي...

أغلق الباب وقد شعر برضا شديد عن النفس...

جمع أوراقه ورسومها من على المنضدة، ووجد أنها نسيت حقيبتها، فحملها مع ما حمل واتجه إلى مكتبه... أخذ يتفحص الرسومات والأوراق ويقارنها ببعض المراجع لديه... شعر بشيء يدفعه للنظر داخل حقيبتها... مجموعة ملابس وكراس قديم... فتحه... أبيات من الشعر بخط منسية المهتز...

أخـذ يقرأ ويرتجـف... يقـرأ وتغالب أفـكاره صوت ضربات قلبه المتعاليـة... يقرأ وقد أخذت الصورة في ذهنه في الاكتمـال... صـورة مرضٍ نـادر... نيكروفيليـا... مضاجعة الموتى!

(٥)

(Necrophilia): اضطـراب جنسـي يتسـم بذلك الميـل أو الاشتهاء لمضاجعة جثـث الموتى، وقد يصاحبه تمام الفعل الجنسي.

المقطع (Necro) يعني الموتى، بينما (philia) يفيد الشغف والميل والاشتهاء.

ومن المعروف أن المنحرف يعقد صلحًا بين المتخيل والواقع من أجل تحقيق رغبته، فهو يخضع لمبدأ اللذة، وينطلق في تحقيق رغباته خاضعًا للدفعة الغريزية...

ويصيب هذا المرض الذكور أكثر من الإناث، وقد يدفع المرض المريض أحيانًا إلى... القتل... لإيجاد المادة الخام لرغباته متى شاء!

****

ارتجف جاسر وهو يسترجع الصورة كاملة... منسية مصابة بالنيكروفيليا... كيف لم يلحظ ذلك؟! أين وصل بها المرض الآن؟ هل لوجودها قرب المقابر حيث وجدها منذ 4 أعوام صلة بالمرض؟ هل حقًّا أمضت تلك الفترة عند عمها؟ من تطور حالتها والشعر الذي تكتبه يرى أن هناك ممارسات جنسية بينها وبين جثث قد تمت بالفعل...

لكن دومًا في آخر كل قصيدة... كانت تذكره هو...

****

ليلا وبعدما سكنت كل الضوضاء، بدأت فُتنة في الخروج من مكمنها... الأنوار مطفأة وهاتف جاسر المحمول على الأريكة...

أخذت تتأمل الشقة الفاخرة... لقد وعدتها منسية بأن تكون محتويات الشقة لها وحدها... كلها...

لا شيء يهم... الموت والحياة سيان... ربما كان موت أحدهم يعني حياتها هي... لا فرق... لا فرق...

انتظرت بجانب النافذة حتى ظهرت منسية وأشارت لها ففتحت لها باب الشقة...

لا يجب أن تحدثا أي ضجيج... كانت منسية سعيدة ومتوترة للغاية... سعيدة سعادة العروس التي ستزف إلى فارس أحلامها... ومن الكفن أخرجت فُتنة الشاطور، وأشارت لمنسية هامسة بأن جاسر في حجرته... ربما نائم كذلك...

تمسك فُتنة مزهرية كبيرة وتقف أمام الدرجتين الرخاميتين وتهشمها وتختبئ خلف الجدار...

يخرج جاسر مذعورًا من حجرة نومه مندفعًا نحو الصوت... يطأ بقايا المزهرية المكسورة فينحني متلمسًا قدميه في ألم... تنقض عليه فُتنة صارخة متدثرة في كفنها، وتغرس الشاطور في كتفه... لم يدر جاسر ما يحدث... من هذه؟! لماذا تريد قتله؟! دفعها جانبًا، لكنها كانت متشبثة بالسكين... ترنح... فهوت فُتنة على أوتار قدمه بالشاطور فتهاوى أرضًا على ركبتيه... لم تعطه فُتنة فرصة لاستجماع أفكاره... كانت تلعب على عنصر المفاجأة برغم فرق قوتيهما...

هوت مرة أخرى بالشاطور على ما اعتقدت أنه رأسه... لكن الشاطور غرس في مؤخرة عنقه...

لم يكن يتألم... فقط كان ذاهلًا... فقد وقفت أمامه منسية... بملابسها البيضاء... تبتسم...

سقط جاسر بلا حراك...

ركعت منسية بجانبه... أمسكت ياقة قميصه وثبتت رأسه أمامها... قبلته قبلة طويلة... وحشية... قبّلت في جنون كل جزء من أجزاء وجهه الوسيم...

هرولت فُتنة في اتجاه الصالة وأخذت تجمع كل ما هو ثمين وتضعه في جوال عملاق...

تمزق منسية ملابس جاسر قطعة قطعة... وتمسح بها الدماء عن جسده...

تمسك كفيه في يديها وتقبلهما... فيسقط كفاه من كفيها...

تمسح بكفيها على شعر صدره... تهمس في أذنه... لكنه لا يرد...

بالطبع لن يرد...

لكن...

ليس هذا ما تصورته...

إنه ليس هو... ليس جاسر...

أخذت تهزه بعنف وتضرب على صدره بقبضتيها...

تريد أن تسمع صوته الرجولي القوي...

تدفن رأسها في صدره وتشم... لا رائحة إلا رائحة الدماء...

زال البريق من عينيه والغمازتين على جانبي خديه...

- جاسر... حبيبي... هيا... احتضنِّي... احتضنِّي...

وتلف ذراعيه حولها... لكنهما يهويان لأسفل...

لم يعد جاسر... فقد الحياة... وفقد كل شيء أحبته من أجله... كان نهرًا متدفقًا... خيِّرًا... غادرًا... مجنونًا... حنونًا... والآن قد جف...

ترمقها فُتنة للحظات ثم تجري خارجه من المنزل بحملها الثقيل...

تبكي منسية... لن يعود جاسر مرة أخرى...

تقوم مترنحة إلى المطبخ... تسحب سكينًا وتعود إلى جثة جاسر... تحشر مقبض السكين بين صدره وعضده...

تجثم فوقه وتقبل شفتيه...

ثم تترك وزنها كله يهوي على نصل السكين الحاد...

وتفرغ حياتها فوق حياته...

لم يعد كما هو...

ولن تصبح كما هي...

لم تعد أنفاسه تداعب مشاعرها...

لم يعد قادرًا على احتوائها بين ذراعيه...

وتغطيتها بشفتيه...

يكتب دمه آخر قصائد العشق...

وآخر أبيات الشعر...

وآخر دقات القلب...

لم تعد في الحياة أشعار...

ولا حلوى ولا أزهار...

ولا بكاء بعد اشتياق...

لم يعد إلا الدم والسكين...

ويد تزحف رغمًا عنها...

وتمسك بالمقبض...

وصرخة أخيرة مدوية...

إذ ينغرس النصل في قلبها...

وتسيل دماؤهما معًا...

ربما سيذكره البعض...

والداه... حبيبته... أثاث منزله...

ودرجات سلم رخامية...

وستظل هي كما ظلت دومًا...

وحيدة...

متفردة...

منسية...

ما راق لي فيها هو قدرة الكاتبة على خلق كل هذا السواد والجو الرجيم، وهي شجاعة لا قبل لي بها، وأخاف فعلا أن أكتب ربع ما كتبته. هناك شاعر عراقي لا أذكر اسمه كان يتغزل في حبيبته، فراح يتخيل تعفن جثتها، والأجزاء الجميلة التي سوف يأكلها الذئب منها.

رواية "نيكروفيليا" جاءت من نفس العالم تقريبا .

د. أحمد خالد توفيق

نيكروفيليا رواية صادمة، من عنوانها، وحتى نهايتها، فهي تقتحم منطقة من الحياة، يتحاشى العديدون مجرد الاقتراب منها، وفي جرأة تميز الرواية والكاتبة، وتثبت تمتع الكاتبة بموهبة خلاقة، وقدرة إبداعية تميزها عن الكثير من أبناء جيلها، وهذا يعد شهادة ميلاد جديدة ، لأديبة شابة، تشق بها طريق إبداعاتها المتميزة في عالم الأدب اللامحدود .

د. نبيل فاروق



مصرية، من مواليد ١٩٨٢، خريجة كلية الفنون الجميلة قسم الجرافيك والرسوم المتحركة. نشرت روايتها الأولى "نيكروفيليا" في عام ٢٠١١ وصدرت لها رواية "صندوق الدمى" في عام ٢٠١٢.


للنشر والتوزيع

تصميم أحمد مراد